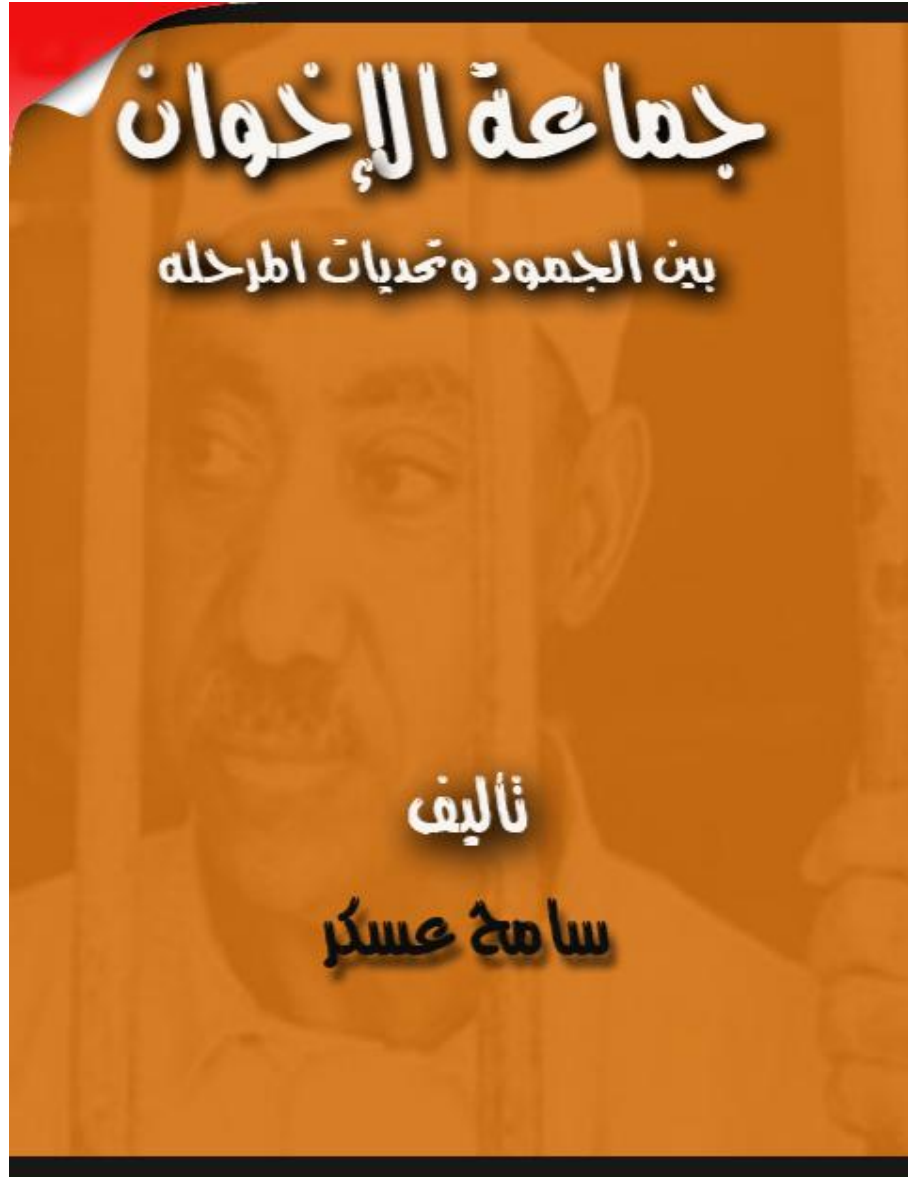


## الإخوان بين الجمود وتحديات المرحلة



بقلم: سامح عسكر

## الفهرس

### الفصل الأول: شواهد الجمود

- ١- تشوُّش الفكرة الإصلاحية الإخوانية
- ٢- نتائج تشوُّش الفكرة الإصلاحية الإخوانية
- ٣- الأزمة الطائفية داخل جريدة الحرية والعدالة
- ٤- توقعات هيكل بتحالف إخواني أمريكي ذو نكهة طائفية
- ٥- الإنفتاحيون والإعلام
- ٦- مشهد السودان والترابي دلالة على الجمود
- ٧- التوت والنبوت وفكرة "العزل السياسي"

### الفصل الثاني: شواهد الصراع

- ١- مشهد من مشاهد الصراع الإخواني مع الآخر
- ٢- أثر ذلك الصراع على الفكرة الإسلامية
- ٣- الإخوان والسيطرة

### الفصل الثالث: تشوُّش الرؤية

- ١- العاطفة تسبق التحكم والإبداع
  - ٢- الخلط بين هوية الخطاب ومحتواه
  - ٣- الواقع الافتراضي ومحاولات التغيير
- هامش: موقفي الشخصي من الدكتور محمد مرسى

### الفصل الرابع والأخير: التحديات

- ١- التحدي الثقافي
- ٢- التحدي الأصولي
- ٣- نقد الأصولية من واقع فكرة "روجيه جاروي"

٤ - التحدي الثوري

٥ - التحدي التعاشي

٦ - التحدي السياسي

٧ - خاتمة

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

جماعة الإخوان المسلمين من أكثر الجماعات العاملة على الساحة المصرية تنظيماً وتدريباً في كيفية الإنتشار والتأثير، ويعود ذلك إلى التربية الروحانية لديهم بالدرجة الأولى.. وقد أعطى ذلك أيضاً لديهم قدرة خاصة على التكيف والمرونة فاتهمهم البعض من جراء هذه الإستراتيجية بالذرائعية النفعية، وبغض النظر عن صحة هذا الإتهام من عدمه سنقدم بإذن الله على إجراء عملية رصد لهذا المشهد الإخواني في مصر من كافة جوانبه، وسنخرج على معالم الرؤية الإخوانية في الإصلاح، نتبعه بطرح تحديات العصر بإيجاز شديد، نظراً لأن طرح التحدي الواحد قد يحتاج إلى صفحات وكتب، وهذا ما لسنا بصدد، فنحن نؤمن بأن العبقريّة الحقيقية تأتي من التبسيط وليس من التعقيد والتكرار.

الآن وبعد سنوات "عجاف" على جماعة الإخوان المسلمين وصلت الجماعة للسلطة عبر بوابة رئاسة الجمهورية في ظل نظام سياسي بدأ يتشكل في مصر والإخوان أحد أعمدته..ولكن يظل الوضع السياسي المصري رهن الصراع لحين التوافق وهو ما يقلل حدة الصدام السياسي والقانوني الذي بدأ يتشكل على هيئة صراع مصري نجحت الجماعة من خلاله في الفوز بمقعد الثورة، أعتقد أن سبب النجاح قد يكون وراءه الخلط بين الهوية الخطابية والمحتوى الخطابي -والذي قد نشير إليه حالما يتسنى لنا عرضه في الكتاب بطريقة مناسبة - ودور هذا الخلط في التأثير على بعض الشرائح المجتمعية والسياسية.

هذا الوضع قد يخدم الإخوان ومشروعهم السياسي فيما لو أحسنوا توظيف مبادئهم وطاقاتهم على كلا المستويين العمليين الحركي والإبداعي، وقد يهدم فكرة الإخوان في حال استحکمت لديهم تلك النظرة الأحادية للأمور الشرعية والسياسية التي تصيب -في العادة- أي كيان قائم على الفرز والذاتية والإنطلاق القائم على خلفية التميز -وسوف نتعرض لهذه النقطة بإذن الله، ونشير إلى أن هذه الرؤية الذاتية القائمة على الفرز تُعد معضلة لا يشعر بها أكثر الإخوان خاصة في هذه المرحلة التي تتسم بالعصبية والإندفاع..ومن سمات تلك المرحلة على المستوى الشخصي هو الخلط بين الرأي كونه رأي وبين كونه حكم وقد نتعرض أيضاً لشواهد هذا الخلط .

## الفصل الأول :شواهد الجمود

### ١-تشوش الفكرة الإصلاحية الإخوانية

يبدأ هذا التشوش من تعريفهم للدولة فلا وجود لتعريف موحد يستطيعون به فهم الدولة ككيان حضاري شامل، وسأتجاوز عن عرض هذه التعريفات أو أقاويل كُبرائهم ومفكرهم وسأكتفي بالرؤية الحالية حسب برنامجهم السياسي والدعائي، فحسب البرنامج الدعائي يوجد لديهم مفهوم "تطبيق الشريعة" وهو مفهوم أقل ما يُقال عنه أنه دليل على قصور فهم الدولة والمجتمع معاً، هذا لأن المفهوم هو عبارة عن حال مغاير لواقع موجود وبالتالي فهو يحكي تغييراً لموجود بموجود آخر، وحسب هذا الكلام فمصر لم تكن تُطبق الشريعة الإسلامية من قبل -حسب مبدأ الوجود والعدم، وهذا يعني صدق وصف الشيخ سيد قطب - رحمه الله- للمجتمع المصري بأنه مجتمع جاهلي!، فأكثر التعريفات الأكاديمية للمجتمع الذي لا يسوده الإسلام"بالتطبيق" يخلص إلى وصفه بأنه مجتمع غير إسلامي.

إذاً فالحل الوحيد لهذا المجتمع "الغير إسلامي" هو الدعوة فيه لسيادة الإسلام "كشريعة" وهو ما يتبناه الإخوان على برنامجهم السياسي تحت مسمى "تطبيق الشريعة"..والحق أن المجتمع المصري هو مجتمع مسلم منذ أن وطئت فيه أقدام الفاتحين العرب، حتى قبل العصر الإسلامي لم يُعرف في تاريخ مصر إلا الدفاع عن المسيحية وقبلها كان الدفاع عن اليهودية، أيضاً يكاد ينفرد المجتمع المصري القديم بروية دينية فريدة من نوعها انتقلت خارج الحدود قبيل ظهور دعوة موسى عليه السلام، كل هذا بيان -موجز ومُبسّط- يوضح أن المجتمع

المصري متدين منذ أن عُرِف التدوين التاريخي طريقه لعقول البشر، وهو ما يدحض فكرة جاهلية المجتمع التي تلازم فكرة "تطبيق الشريعة" التي يُطلقها البعض على جهل تام بتوابعها ولوازمها.

أيضاً لو افترضنا صحة تصور الإسلاميين عموماً لمفهوم الدولة انطلاقاً من فكرة "تطبيق الشريعة" فالأسئلة تظل حاضرة، هل الشريعة تتعارض مع روح العصر والتقدم العلمي؟.. وهل القرآن -المصدر الأساسي للشريعة- يُعطي تصوراً واضحاً حول أسلوب تولي الحكم أم أن القضية هي قضية مبادئ عامة موجودة لدى الجميع؟.. هل الشريعة تقول بالوحدة والتعايش أم بالصراع والعنف الطائفي، ولماذا نرى من يطالب بتحكيم الشريعة طرفاً في صراعات طائفية أخرى ولو كانت خارج حدود الوطن؟.. هذا سؤال هام وقد عرضته من قبل على مروجي فكرة الخلافة الإسلامية قائلاً لهم أن الوحدة الإسلامية أمر عظيم "كمبدأ" وأنه لا يوجد مسلم تقريباً يرفض هذا المبدأ، ولكن لماذا أرى أن "كل" مروجي هذه الفكرة "فكرة الخلافة الإسلامية" هم إما جماعات تنتهج العنف في التغيير كتنظيم القاعدة أو الرفض والإقصاء المذهبي كالتيار السلفي أو الصدام الأيدلوجي والحزبي كالإخوان المسلمين.

حقيقة هذا سؤال صعب الإجابة، فكلما تحدث هؤلاء عن الخلافة ازداد المسلمون تشرذماً، وهذا يعني حسب تصور هؤلاء أن فكرة تطبيق الشريعة لديهم هي وسيلة للسيطرة والهيمنة ليس أكثر، وأن القضية ليست قضية إصلاح أكثر من كونها حالة احتكار تام لجميع السلطات، مما يضعنا في تحدٍ آخر وهو رصد الحالة المثلى لمفهوم "تطبيق الشريعة".. هذا لأن الأديان عامة داعية للسلام والأمن والنهوض، وفكرة التطبيق الديني في جوهرها فكرة متميزة فيما لو قورنت بأفكار أخرى تنزع إنسانية البشر وتحل محلها فلسفات مادية أو سلوكيات خطابية مقصودٌ منها نشر التميز والإلحاد الخُلقي.

ربما نخلص من تلك العملية -عملية الرصد- إلى استنتاج واقع سياسي يتسم بالمحاسبة والمواطنة والنظام الاجتماعي العادل والمساواة في كافة الحقوق والواجبات ونشر الحريات وصنع القوانين والمواد لحمايتها.... وما إلى ذلك من سلوكيات وأفكار هي في جوهرها تنشر المبدأ الحقيقي للدين وتفرض على الناس وعياً ثقافياً وحضارياً شاملاً.

## ٢- نتائج تشوُّش الفكرة الإصلاحية الإخوانية

إن عدم وضوح الفكرة الإسلامية الإصلاحية في الوعي الإخواني هو أساس الهاجس الذي سيجبر الجماعة على عدم الإبتعاد عن الرئيس مرسى لضمان تحقيق الأهداف، حتى لو توفرت وسائل التطبيق والتنفيذ فالمشروع الإخواني لا يقبل الفشل، وأي قصور سيشوب مهام الرئيس أو سياسات وقوة الجماعة في الداخل أو الخارج سيُحيلون أسبابه وأعبائه على الغير.. فالإعتراف الإخواني بالخطأ قد يكون معدوم خلال الفترة الإنتقالية فما بالنا لو أحكمت الجماعة قبضتها على شتى المؤسسات الحاكمة إضافة إلى النقابات والمحليات والإتحادات؟.. حينها -تبعاً لما نراه من أحداث وسياسات للجماعة- لن نتفاعل في اعتراف إخواني بالخطأ ومن ثم البحث عن علاجه..

في العادة وعندما يصعد أي فصيل سياسي - على أساس مقدس - سواءاً كان دينياً أو عرقياً فيكون الإستقطاب و"العنصرية" نتيجة حتمية طبيعية، وكأنه -وكما قلت في السابق- بأن الإخوان يجنون في هذه اللحظات ثمار الدعاية الدينية، سيقول قائل أن هذه الدعاية كانت سببا في الوصول للسلطة، وسيقول آخر أن الشاهد ليس في الوصول للسلطة بل في نجاح المشروع والذي بناءً عليه صعد الفصيل لهذا المنصب الرفيع، بمعنى أن الإخوان باتوا في هذه اللحظات في مواجهة صريحة مع ناخبهم الذين انتخبوهم طمعاً في الحل الإسلامي الموعود..

هذا الحل الذي أقدمت الجماعة على الدعاية له متجاوزة التعريف أو الفصل أو الواقعية.. بدليل ندرة الحوارات الثقافية التي كانت ستؤسس لفكرة واقعية إخوانية عملاقة، تقريبا لم يتم الحديث بشأن الفكرة سوى في المجتمع الإخواني، أستثنى من ذلك رؤية التيار "الإنتفاحي" الإخواني المتمثل في أحزاب الوسط والعدل وغيرهما مما هو موجود ومما هو تحت التأسيس.. فجميعها لديها رؤى تواصلية وقد عقد بعضها حوارات تهدف لبلورة الفكرة الإصلاحية أملاً في تقريب وجهات النظر... ومع ذلك فمن المنتظر دخول الإخوان في وصلة ربح مع العلمانيين إن آجلاً وإن عاجلاً ويعود ذلك لما قلناه بعدم وضوح فكرة الإخوان الإصلاحية، فحلفاء اليوم أعداء المستقبل.

في بداية الأحداث السياسية وبعد الثورة كتبت عدة انتقادات للإخوان المسلمين لعملهم علي التقارب السياسي مع السلفيين دوناً عن العلمانيين وهو ما ينفي عن الحركة كونها حركة توسط وجمع للجميع بمختلف توجهاتهم، الإخوان يطالبون بالمرجعية الإسلامية التي لا تتنافي مع مدنية الدولة فلماذا تم رفض وثيقة السلمي بسبب مدنية الدولة؟!، ألا يطرح لنا ذلك عدة تساؤلات علي أن منهج الإخوان قبيل الثورة سادة الغموض وأن انتقادات العلمانيين للإخوان كانت في موضعها، نعم.. أشعر أن صورة الدين والدولة في أذهان العقل الجمعي للإخوان "مبهمة وغير واضحة" وعليه فلا بد من الشفافية والوضوح إما مع الدولة الدينية أو الدولة المدنية، أما أن تطرح برنامج عمل به تصورات ذهنية دون أن تطرح دلالة واحدة-خارج الذهن - علي واقعيتها!.. فسيكون ذلك ضرباً لمصادقية الإخوان في الشارع وستكون تلك الضربة قاضية لكونك زرعت موقفاً لدي العامة بامتلاكك الخير والجنان والسلام للوطن وللجميع وحينها ستكون صدمة ليست فقط في الإخوان ولكن في الدين أيضاً.

### ٣- الأزمة "الطائفية" داخل جريدة الحرية والعدالة

لقد أثر هذا التشوش أيضاً على الإعلام الإخواني ، وهنا سأعرض لتجربة جريدة "الحرية والعدالة" والتي من المفترض أنها ناطقة باسم الحزب الإخواني.. هذه الجريدة ورغم أنها حديثة الظهور إلا أنها بدأت في شن حرب إعلامية ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية بحُجج متعددة ومنها الأزمة السورية والتي سنطرح لها كتاباً في القريب العاجل سنناقش فيه الأزمة بعمق وتروي وسنتحرى الموضوعية قدر الإمكان.. ليس الشاهد في تلك الحالة أنها ضد إيران فهي طبيعية في العمل الصحفي الحر.. ولكن الإشكالية تكمن في التغاضي عن جرائم المملكة العربية السعودية والمملكة البحرانية ضد ثوار البحرين "السلميين" ، أيضاً وفي الداخل السعودي وعدم التعرض "مطلقاً" للأزمة التي يعاني منها شيعة القطيف من جراء سياسات التهميش والتمييز ضدهم ، كل هذا يحدث و لم يتم توجيه كلمة نقد واحدة للسعودية من بين صفحات الجريدة.

أعترف أن للجريدة نشوة خاصة لدي أبناء التيار لكونها أول جريدة تتحدث بإسمهم وتصبح عنوانهم إلى المجتمع، وأتمني من كل قلبي أن تكون هذه الجريدة هي رقم "١" في مصر ولكن في ذات الوقت أري أن هذه الأمنية بعيدة وبعيدة جداً.. والأسباب كثيرة... أهمها "حزبية الجريدة وعدم استقلالها".. ناهيك عن توجه القائمين عليها هو الغالب ولا يعبر

عن رأي كامل اتجاهات الإخوان...حتي أنني وكما أشرت في السابق لم أرَ فيها أي كلمة نقد واحدة للمملكة العربية السعودية ، ليس رغبة في نقد هذه الدولة ولكن كونها جزء أصيل في مشاكل عدة تجتاح العالم العربي ومع ذلك فهي فوق النقد...!

سيقول قائل أن إرادة النقد للسعودية تعني الإصطفاف بجانب إيران أو سوريا وهذا قصر باع بغير نزاع وتعصب أعمى يدير ظهره للحقيقة بحجة المذهب والطائفة، هذا لأن الإعراف بجرائم المملكة العربية السعودية في حق أبنائها وجيرانها لا ينفي أبدا جرائم النظام السوري السفاح الذي يتاجر بتاريخه في العروبة والمقاومة على حساب العدل والمساواة، وسياق النقد لو لم يناقش بواقعية بعيداً عن العواطف لساده العنجهية وقصر الباع..

لو رضيت جريدة علي نفسها أن تكون بوقاً لنظام سياسي دون الآخر ، فهذا يعني أن هذه الجريدة لا تمت للعدالة ولا للحرية إلا إسماً، ما الذي يُجبرهم علي ذلك سيقولون وحدة الصف الإسلامي، فلماذا التهجم علي السياسة الإيرانية والتشنيع عليها دون غيرها؟؟... وهل السعودية جزء من الأمة الإسلامية وإيران كفار وزنادقة أم ماذا؟؟!..هل هناك نفس طائفي بدأ يحتاج فكر الإخوان؟!..ممكن جداً..وهذا ما أشرت إليه باقتناعي بصدق وجهة نظر حسنين هيكل بأن هذا الحس الطائفي الذي بدأت ملامحه في الظهور لدي الكوادر والقيادات الإخوانية من الممكن جداً استغلاله من قبل الولايات المتحدة-ولعله المقصود..

أجدد عدم رفضي لأي نقد لإيران بل أعتبر نفسي من الناقدين لإيران ولنظامها الديني الذي تشوبه الدكتاتورية القمعية وتصفية المعارضين...وأعد نفسي -على المستوى الشخصي من الكارهين لسياسة أحمدي نجاد ونظامه القمعي، ولكن تعلمت من ديني الإسلامي أن لا يحملنا ظلم فرد أو تيار علي التعامل بالمثل وأن نرضي علي أنفسنا أن نكون أبواقاً لأنظمة سلطوية وراثية كانت سببا في تدهور العقل الجمعي العربي في منطقة الخليج والبلوغ به إلي الحضيض الطائفي والإستغلالي..

#### ٤- توقعات هيكل بتحالف إخواني أمريكي ذو نكهة طائفية

أخشي أن يكون كلام هيكل في محله الذي أبدى مخاوفه من سقوط الإخوان في فخ السياسة الأمريكية التي تهدف لبناء قوي دينية طائفية في الشرق الأوسط تتصدي لإيران والمقاومة



بشكل عام... بصراحة ورغم انتمائي للإخوان المسلمين -فكرياً وليس تنظيمياً- إلا أنني أشعر بأن الإخوان ماضون في طريق سيتحالفون فيه مع الولايات المتحدة ضد إخوانهم المسلمين والمجاهدين في يوم من الأيام.. وإلى المشككين بهيكل من جراء تصريحاته ورؤيته تلك فهيكلكاتب صحفي كبير ورؤيته ثاقبة ومحترمه، وعندما يقول ذلك علي الإخوان فالواجب نقاشه من قبل القيادة والنخبة الإخوانية لا الإكتفاء بمعارضته وتسفيه رأيه كما يفعل بعض صغار العقول ممن ينتسبون إلي التيار الإسلامي..

ولكن لنفترض أن تكهنات هيكل غير سليمة أو بُنيت علي قواعد خاطئة وغير منهجية، فما الذي يمنع من إثبات حُسن النوايا وأن القيادة علي عهدها بالالتزام بمنهج الإمام البنا في الوحدة ومحاربة الجهل والطائفية، وألا تؤمن بأن التيار السلفي التقليدي "والطائفي" داخل الإخوان أصبح هو المهيمن علي الساحة؟!...ألا نؤمن جميعاً بأن منهج الإخوان في التعاطي مع القضايا السياسية الراهنه بحاجة لمراجعة؟!...

لماذا لا ينكر الإخوان علي المعارضة السورية الذين استقبلوهم في مكتب الإرشاد مطالبتهم بالغزو الأجنبي لبلادهم؟!.. لماذا لا يقنعوهم بأن طريق النصر الحقيقي يبدأ من السلام وليس من الحرب... وما الذي يحمل جريدة رسمية تحمل إسم الإخوان المسلمين أن تسمح لنفسها بأن تسوق لسياسة دولة خليجية متهمه بانتهاك حقوق الإنسان وبتصدير التطرف والجهل إلي العالم وبقمع ثورة شعب عربي خارج الحدود، ناهيك علي التآمر علي الثورة المصرية الذي شاهده الصغير قبل الكبير، ناهيك أيضا عن الإتهامات لها بالعمل علي تدويل الأزمة السورية كي يصل بها الحد للغزو الأجنبي واستباحة الحرمات؟!.. ألا تكفي هذه الشواهد للنقد أم أننا ننظر إلي القضية بمنظور ما؟!!

لو استطعنا حل هذه المعضلات فلربما نُفسد رؤية حسنين هيكل وهي في مهدها وبالتالي نحافظ علي صورة الإخوان البيضاء الناصعة التي تدعم المقاومة وتحض علي الوحدة ونبذ التطرف واستحلال الدماء والأموال.

## ٥- الإفتاحيون والإعلام

الوضع الآن في العالم تغير إلى نشوء قوي إعلامية مهيمنة علي العقول أقوي من قوة الهيمنة العسكرية؟...إذا اتفقنا على واقعية هذه الصورة فسنصل إلى اختلاف قواعد النظر "الإخوانية" مع فكرة الدولة والدين في هذا الزمان والتي أشرنا إليها في السابق عبر باب "تشوش الفكرة الإصلاحية الإخوانية" فيرجى المراجعة. ببساطة شديدة لم تعد فكرة الانتقائية قابلة للتطبيق، المجتمع المصري سيلفظها وسيلفظ معتقوها إذا ما فشل الإخوان في تطبيق برنامجهم القاضي بأسلمة المجتمع علي القواعد التي فهمها الإخوان -ليس بقية المسلمين - تلك القواعد التي لم يعد لها نصيب في التنفيذ بعد سيطرة الإعلام علي العقول واختلاف قواعد النظر عن ما كانت عليه في الماضي.

حتى ذلك التيار "الإنفتاحي" لم يعالج ذلك المؤثر "الإعلامي" وكأن رؤية التيار الإنفتاحي هي الأخرى تنحصر في تعريفات أكاديمية أو رؤية فصل ماهوية أو عوارضية فتكون النتيجة أن سار ذلك التيار بكل ثقله في صف الجماعة "الأم" في مواجهتها مع القضاء المصري والسلطة العسكرية أثناء الفترة الإنتقالية أو في ظل تسليم السلطة في ٣٠ يونيو الماضي وما رافقها من أحداث وأزمات سياسية..تقريباً كافة التيارات الإسلامية بما فيهم "الإنفتاحيون" من كوادرو قيادات شاركوا في صنع الإستقطاب "المعيب" التي شهدته الساحة السياسية المصرية مؤخراً ونتج عنه مواجهات شعبية وقانونية بين كافة السلطات..

أستنتج من هذا الوضع أن رؤية التيار الإسلامي بكامل فصائله الإخوانية والسلفية والإنفتاحية شابها النزوعية والتبرير في تقدير الأمور بدلالة ما حدث من اتهام وتخوين لكافة القوى الوطنية التي اعترضت على قرار الرئيس مرسي بعودة مجلس الشعب المصري المنحل بحكم المحكمة الدستورية العليا..ثم وما إن عادت الدستورية لتقضي حكماً بتجميد قرار الرئيس إلا وعاد الرئيس عن إصراره على عودة البرلمان وأعلن عن احترامه لحكم المحكمة، في ظل هذه الأثناء لم نرى هذه القوى التي سارعت بإلقاء التهم والتخوين في حق المعارضين -والذي وصل إلى حد الإعتداء على الرموز مثال ما حدث من تهجم الإخوان على المهندس حمدي الفخراي أو الإعتداء على النائب أبو العز الحريري- لم نراهم إلا مشيدين بحكمة الرئيس مرسي وأنه يحترم القضاء المصري في سابقة لا أخلاقية شابت جميع أنصار الرئيس..

دخلت السودان من في تجربة الحُكم.."الإسلامي"..ودخل معها السودانيون في خضم أحلام لا تتوقف عند طلب المعيشة بل إلى تنفيذ حُكم الله، أقاموا الحدود وقطعوا الأيدي والأرجل، ثم سرعان من انقلب البشير على الترابي كجزء لمن يضع الشعوب لخيار إما القلم أو القوة ، قد لا يجد الإنسان صعوبة لديه في الاختيار إذا ما كانا متصارعين في السر والعلن، ولكن عند رؤية التحالف ثم الانفصال ينحاز المواطن إلى القوي، هذه التجربة حاضرة من قبل في زمن عبدالناصر ، فكما حدث مع الترابي والبشير حدث مع عبدالناصر والإخوان، وكأن ضريبة القمع والسجن أصبحت عقاباً لمن تسوّل له نفسه أن يسلك سلوك السلطة بمباركة القوي .

أرى أن سلوك السلطة لن يكون نزيهاً وقائماً قياماً صلباً إلا بعملية كبرى للإصلاح الديني والفكري تخرج منها المجتمعات من حالة إلى حالة، أما أن نعتقد بأن ما نحن عليه هو الحق وأن الباطل قليل لهو الحَمَقُ بعينه، فما من فشل حضاري شامل إلا ورافقه الجهل والاحطاط الخلقي والثقافي، بالضبط كما حدث في المجتمع السوداني حيث ابتهجت نفوس الإسلاميين في المنطقة بقدوم هذا المارد الذي سينقل السودان من الانحطاط والجهل إلى مصاف الدول المتقدمة ، ولكن تناسى هؤلاء بأن هناك فراغاً فكرياً وثقافياً يعاني منه الشعب السوداني بأسره، فمن تخبطه على أعتاب الأضرحة إلى استقطاب المجتمع السوداني دينياً وعرقياً وصل السودانيون إلى مرحلة اللاعودة، فتقسمت البلاد وخضعت الأقاليم لسلطة كبار الطوائف وضعفت الدولة المركزية فكانت النتيجة أن انتشرت الجرائم السياسية والعرقية .

بالتأكيد كانت هذه الجرائم مُحْبَأة قبل ظهور المشروع الإسلامي في السودان وكانت فقط تنتظر اللحظة لخروجها للعلن فور استدعائها إما بجهل وسطحية أصحاب المشروع الإسلامي، أو بتورط خصوم الإسلاميين في التحريض ضد الدولة المركزية وعدم التعاون مع الحاكم، كانت أكثر تجربة مريرة عاني منها إسلاميو السودان هي فتنة السلطنة، حيث أتذكر حواراً مع الترابي منذ عامين قال فيه بأن معيار الاختيار الذي كنا نسلكه كان هو معيار الثقة ، وأن الرجل لم يكن ليتقدم لموقع المسؤولية إلا بالثقة في أخلاقه وطاقته والتزامه، ففوجئنا بعد حين من الزمن بأن ما كنا نُقدّمه في الماضي لم يكن إلا مشروعاً لدكتاتور فتنته السلطة ، فسرعان ما كان يُقصي خصومه حتى أنه لم يشعر بما هو عليه ولجأ كعادة أكثر الإسلاميين إلا التبرير.. ومن هذا المشهد سقطت دولة السودان بين رُحى الاستبداد..

من شهادة الترابي أرى أن تجربتهم التي عانوا منها ليست بعيدة عن المشهد العربي وبالأخص في مصر وتونس فهما مُعرّضين لنفس التجربة أو أخف أو أشد وطأة، فارق كبير بين التنظير العقلي بين مشروعين سياسيين أحدهما يُدخل الدين عنوة في كل صغيرة وكبيرة، وبين مشروعين سياسيين يعتمدان على معيار الأكفأ لضمان البقاء والإستمرارية. فالأول سيُنتج مجموعة يعتريها الجهل بالقانون والحياء وما حادثة الدستور أولاً أو الإنتخابات أولاً في مصر ببعيدة وفي ذلك شرح مبسط..

حيث لا زالت خيبة الإسلاميين وفشلهم في رصد ما حيكَ للثورة ولأنفسهم حاضرة في الأذهان، فرفعوا سلاح التخوين لكل من يرفض مبدأ الإنتخاب أولاً، بل وصل الأمر ببعضهم إلا إطلاق أحكام الطاعة والمعصية لله إذا لم يُقدم الشعب على اختيار مبدأ الإنتخاب.. وياسبحان الله تمر الأيام والشهور ويثبت للجميع بأن مبدأ الإسلاميين قد أوقع البلاد في أزمتٍ سياسية عانى منها الإسلاميون أولاً، فحمل ذلك بعضهم على الإعتراف بالخطأ.. ولكن ظلت أحكام الطاعة والمعصية لله التي أطلقها هؤلاء سبّة في جبينهم ولا يزالون يُكررون نفس الخطأ بكل عنجهية حتى حمل البعض منهم بأن اختيار أي مرشح بخلاف مرشح الإخوان فهو عاصي لله، وأن ما فعله حرامٌ شرعاً.

في حوار سابق مع زميل لي في العمل كان مؤيداً لشفيق، وكان يعرف أنني أميل للدكتور مرسي رغم قدومي على انتقاده مراتٍ عدّة ، قال لي بأنه إذا كان من سينتخب الدكتور مرسي سيدخل الجنة حسب أقوال المشائخ، فما هو مصير المسيحي الذي سينتخب الدكتور مرسي، هذا السؤال ليس بجديدٍ عليّ إذ سبق وأن تعرضت لنفس السؤال، حيث يُقدم خصوم الإخوان على تحميل أخطائهم وأخطاء المشائخ لكافة الكوادر المحسوبة على الإخوان سواءً من كانوا في التنظيم أو من خرجوا ، في المحصلة لن يجد المدافع إلا سلوكين لا ثالث لهما، إما أن يلجأ للتبرير كعادته وحينها ستتفاقم الأزمة بدلالة عدم الرصد، وإما سيعترف بالخطأ ولكن مع توالي الأخطاء فسيُصبح وجود هذا الكادر في الإخوان على المحكّ.

## ٧- التوت والنّبوت و"الفلول".. وفكرة العزل السياسي

في البداية سنسأل ما هو مصطلح "الفلول" ..الجواب أنه يُطلق على مجموعة من الناس، ولكن السؤال يظل حاضراً من هم "الفلول" ..فإذا كانت الإجابة أنه يُطلق على النظام القديم وأنصاره ..فالسؤال يظل حاضراً ، هذا النظام كان قد مارس ضد الإخوان سياسة الإقصاء والتهميش وأطلق عليهم مصطلح .."المحظورة" ..يعرفون به أينما تُقفوا ..فلماذا تضرر الإخوان بالأمس من .."المحظورة" ..ثم لا يعترفون اليوم بتضرر الآخر من .."الفلول" ..وهل كل من عارض الإخوان في أي انتخابات أصبح من "الفلول" .. وعليه يجب طرده من عالم السياسة؟! ...وهل أصبح التمكن من السلطة مبرراً لإقصاء الخصوم؟!

المشكلة ثقافية خطيرة ،وتعطي مؤشراً بيانياً على علو نزعة الإقصاء والتهميش في المجتمع المصري فأى من منجزات الثورة اليوم قد تم؟! ..من السهل كي أقضي عليك وبالضربة القضائية أن أصفك بما تم التعارف عليه بأنه شُبْهة . وقد تعلمت شيئا أكرره دوماً ..إن ذهاب أي فرعون ما هو إلا إيدانٌ لقدوم فرعون آخر ..فليحذر من يقصي خصومه اليوم بحجة الفلول، فمداولة الله لأيامه دلالة عدل ستأتي بالإخوان حتماً تحت مقص الرقيب ..

الحل والنجاه في ضرورة أن لا يحملنا هذا السلوك على التنكر للأخطاء وخاصة ..الخطأ الفكري ..فهو أشد الأخطاء خطورة على العقليين الثوري والإخواني ..وما نحسبه اليوم من سلوك منظم قد يكون في حقيقته حشد على غير وجهته ..أيأ كانت نتيجة الانتخابات ..ولكن في النهاية من سيعطي صوته ضد الدكتور محمد مرسي هو في النهاية -وحسب منطق الإخوان - هو من "الفلول" ..فكيف سيتعامل الإخوان مع هذه الشرائح بعد اعتلاء سدّة الحكم ..لو أصرّوا على منعهم حقهم السياسي فهو إيدانٌ بميلاد فرعون جديد ..ولكن هذه المرة بلبوس إسلامي، ولنا في الأعمال الفنية عبرة ..

كثيرة هذه هي الأعمال الفنية التي تحكي فلسفات وأخلاقيات تعكس الواقع الاجتماعي والثقافي لدى الشعوب ..هذه الفلسفات والأخلاقيات منها ما يُنتج سلوكاً يجب التمسك به ليس فقط رفعة للأخلاق ولكن أيضاً حرصاً على المصلحتين العامة والخاصة ..وبين ما يبدو لنا منها ما يصلح وما لا يصلح للتطبيق وبين فهم الواقع تتجلى لنا بعض الإشكاليات، ولم يسلم من هذه الإشكاليات من يتحدث باسم العقل ومن يتحدث باسم الدين، حتى بات الناس في مأزق حقيقي لهويتههم.

في تسجيل قديم للشيخ محمد متولي الشعراوي شاء الله أن يُظهره لنا بعد قيام الثورة المصرية، في التسجيل يُشدد الشيخ على أن الثائر الحق هو الذي يثور على الفساد وفور تخلصه من الفساد يلجأ للهدوء كي يصنع الأمجاد ويبني البلاد، ثم يقوم هذا الثائر الحق بالعمل على نزع الأحقاد وتطبيب الأنفس بالقيام على توحيد الناس للبناء..ويُشدد على أن ثورته لم تكن ضد طائفة أو فئة أو أشخاص معينون، بل كانت ثورته ضد الظلم وليس شئ غيره، ومن هذا السلوك الذي قام على شرحه الشيخ بأسلوب تبسيطي يُقنع كافة العقول ويصل للقلوب..أستنبط تلك الهوية الثورية الحقيقية.

هناك رابط معنوي بين سمعناه من الشيخ محمد متولي الشعراوي-رحمه الله-وبين النهاية السعيدة للفيلم المصري.. "التوت والنبوت"..حيث أنه وفي نهاية الفيلم يظهر قائد الثورة الشعبية الممثل.. "عزت العلايلي"..وقد أعلن انتصاره على الحاكم الطاغية الملقب .."بالفتوة"..حيث كان هذا الحاكم والذي قام بتمثيل دوره الفنان الراحل.."حمدي غيث".. كان يجمع الإتاوات والضرائب جبراً دون مراعاة للظرف الإقتصادي لأهل المنطقة، وكان يمارس أبشع درجات الظلم دون اعتبار للقيم الإلهية، وبشيوع مظالمه كسر.."الحرافيش"..حاجز الخوف وقرروا طرد هذا الطاغية إلى غير رجعة.

الرابط كان في قيام البطل بإنهاء الحرب بين أتباع الفتوة وبين الحرافيش، وصرخ في الجميع أنه لا ظلم بعد اليوم، وأن المستقبل للجميع ولن يكون هناك إقصاء لأحد بما فيهم من كان يوالي وينافق الطاغية الهالك، من هنا نرى بأن زوال الأحقاد وتطبيب الأنفس الذي أشار إليه الشيخ الشعراوي هو بذاته ما فعله الثائر "العلايلي" حيث أشار إلى أن ثورته لم تكن إلا لشيوع المظالم وأنه لا يكره أحد...وأن الوطن للجميع ويجب علينا أن نطوي صفحة الماضي لننتفرغ للبناء.

هذه الصورة الفنية والدعوية التي جمعت بين اثنين من العاملين في حقل الدعوة والفن، تُعطي انطباعاً لديّ بأن المآزق الراهن الذي تعيشه مصر لا ينفصل عن صورة الثائر الحق الذي صورته لنا الأعمال الفنية والدعوية، فشاء الله أن تظهر لنا مُصطلحاتنا كنا في غنى عنها ، وهي بالأصل إقصائية ومنها مصطلح.."الفلول"..هذه الكلمة التي تعبر عن صورة مطاردات سياسية، لذلك فهو مُصطلحٌ إقصائيٌ بحث، وقد سمعته قديماً إبان انهيار

حكم صدام حسين فما لبثت العراق أن دخلت في دوامة العنف حتى أصبحت دولة فاشلة بكل المقاييس.

وإذ تعيش مصر في هذه اللحظات أحداثاً حرجة بعد قيام المحكمة الدستورية المصرية بإبطال قانون العزل السياسي وحلّ البرلمان المنتخب، أرى أن صورة المطاردات السياسية التي تجلّت في الوعي الثوري تحت عنوان.."الفلول"..هي نفسها الصورة التي صنعت لنا قانون العزل السياسي، هذا القانون الجائر والغير دستوري الذي خلق لنا مأزقاً ليس فقط بوجه سياسي ولكن أيضاً بوجه ثقافي وأخلاقي، وأتذكر أنني كنت من أوائل الذي كتبوا عن هذا القانون على شبكة الإنترنت ، مُبدياً استهجاني لهذا التصرف اللاأخلاقي في حق المواطن المصري وحقوقه السياسية.

إن النفس التي طاردت أنصار النظام المصري السابق وأطلقت عليهم مُصطلح الفلول وشرعت ضدهم قانوناً للعزل السياسي يحرم كُبرائهم من ممارسة السياسة، هي ذات النفس التي أدخلت الإخوان السجون في الماضي، وهي التي أطلقت عليهم لقب.."المحظورة"..وكان الرابط بين.."المحظورة والفلول"..هو رابطٌ أخلاقي يُجبر الإنسان حين تمكنه من سلوك الدوجمائية المفرطة، تلك العقلية الإقصائية التي لا تتصور إصلاحاً بمشاركة الخصوم، وهؤلاء في العادة لا يتصورون العلاقة السياسية إلا كونها قضية وجود ومصير وليست علاقة متغيرة تتسم بالضرورة حسب معطيات الواقع ومراعاة المؤثرات.

## ٢- الفصل الثاني: شواهد الصراع

### ١- مشهد من مشاهد الصراع الإخواني مع الآخر

أكبر دليل على وجود أزمة فكر ورؤية لدى الكادر الإخواني هو ما حدث من اتهام التيار الإسلامي على شاشات قنواتهم الفضائية وإعلامهم المقروء وذاته نفس ما حدث من الكوادر على صفحاتهم الرسمية على الفيس بوك والتويتر والمواقع الإلكترونية لعدد من الرموز والقوى السياسية بأنهم يعملون لصالح النظام القديم فقط بمجرد رفض قرار الرئيس القاضي بعودة مجلس الشعب المصري المنحل بحكم المحكمة الدستورية .

وكان من بين هذه الرموز التي تعرضت للهجوم الإخواني أشخاصاً كثر "كالدكتور محمد البرادعي وحمدين صباحي والمستشارين أحمد الزند وتهاني الجبالي والدكتور أبو الغار.. وغيرهم". جميعهم لم يسلموا من الهجوم الإخواني العنيف الذي طال الحياة الشخصية لبعضهم بل والقيام بالتشكيك في الأمانتين الخُلقية والوظيفية لهم مما استدعى بعض القوى والشخصيات الليبرالية "الحليفة" للإخوان من إعلان التذمر من السلوك الإخواني ومنهم الأديب علاء الأسواني والذي سارع بالدفاع عن البرادعي موجهاً حديثه لشباب الإخوان مطالباً لهم بوضع الرئيس مرسى ضمن القائمة "الفلولية" بعد إعلانه عن احترام أحكام القضاء المصري القاضي بحل مجلس الشعب، وهو نفسه السبب الذي ومن أجله قام الإخوان بالتهجم على هذه الرموز السياسية والقضائية والشعبية مما يعكس أزمة فهم وأخلاق لدى منتسبي ومناصري الإخوان لم يواجهها الإخوان -حتى الآن - بحرفية...

تماماً كما حدث من الهجوم على بعض الإعلاميين وأشهرهم لميس الحديدي وفبركة أخبار عنها تقول بأنها كان تحمل مخدرات في سيارتها وهو ما سارعت الجهات التنفيذية المسؤولة بنفيه مُحملةً ناشر هذه الأخبار المسؤولية وأعلنت الجهات التنفيذية فيما بعد القبض على ناشر هذه الأخبار المزيفة ومروجها.. علماً بأن الإعلامية لميس الحديدي وغيرها من الوجوه الإعلامية قد نالوا قسطاً كبيراً من الهجوم الإخواني بسبب ما قالوه تحيزاً ضد الجماعة وهجوماً منها غير مبرر.. ودخل في نفس القائمة إعلامين كعمرو أديب ومنى الشاذلي وخيري رمضان وغيرهم..

في النهاية أنا ضد أي هجوم إعلامي على أي فصيل مقابل سواءً كان خصماً سياسياً أو ما يصفونه بالمتخاذل.. وحقيقة لم أجد من الإعلاميين لميس الحديدي ومنى الشاذلي إلا التعامل بمهنية إعلامية مع الأحداث نفتقدها في بعض الكيانات الإعلامية الحليفة للإخوان، تمثل ذلك في استضافتهم للرأي والرأي الآخر دوماً.. وهو ما أثار استغرابي إبان الهجوم الإخواني عليهما إذ أعتقد بأن الأولى بالهجوم من هؤلاء وكياناتهم الإعلامية هو الهجوم على قناة "مصر ٢٥" الإخوانية التي تتفرغ -تقريباً للهجوم على الرأي الآخر وسلوك "فضحه".. ولا يوجد بها استضافة حقيقية للرأي الآخر مما يضع القناة الإخوانية "الناشئة" ومعها كافة القنوات الدينية السلفية الأخرى ضمن الإعلام الموجه على شاكلة قناة الفراعين وتوفيق عكاشة وغيرها من الكيانات الإعلامية الرديئة التي تتفرغ للحشد والتعبئة والاستغلال.



## ٢- أثر ذلك الصراع على الفكرة الإسلامية

أنطلق وعن قناعة مسبقة بأن أي صراع على السلطة في الوقت الحالي لن يخدم الوافد الجديد -أيأ كان هو- حتى مع الشعور بالنزوة ونشوة الإنتصار تظل فكرة الإصلاح هي الثابت الذي لا يتغير كمبدأ في ذهن هذا الوافد الجديد، ومع أول كسر لمبادئ هذا الوافد الجديد تتعاظم لديه النزوعية والرؤية الأيدلوجية مما يُخرج رؤيته من سياق العمل العام إلى سياق العمل الخاص والذي عن طريقه يعمل في إطار ضيق يختصر مصلحة الشعب في مصلحة المؤيد.

أشير إلى أن هذا الفخ قد سقط فيه كثيرون من قبل كانوا قد سلكوا نفس السلوك على اختلاف طُرق صعودهم للحكم من ديمقراطية هتلى إلى عسكرية وشمولية عبدالناصر.. وغيرهم.. بيد أن محاولاتهم -لو تحققت- لتصحيح المسار فستصطدم مع الرؤية الأيدلوجية القاصرة والتي نتجت سابقاً إما عن طُرق التدريس وما يحويها من أفكار ونُظم وإما عن السلوك البراجماتي الذي نتج هو الآخر من كثرة إعلاء المبادئ والأفكار النفعية حتى طغت على الوجدان الإنساني للمؤيد..

وهذه الأخيرة أراها قد تحققت لدى جماعة الإخوان حتى برزت بوضوح لدى أكثر المتابعين خلال السنوات الاخيرة، وهي حالة نفسية ذهنية -في العادة- لا يشعر بها الإنسان وتجري في عروقة حتى لا يكاد يُحسّ بها، ولكن يمكن رصد هذه الحالة -من الآخر- عبر رصد عدم وجود حل جذري وسريع من "منظور إسلامي" لدى هؤلاء، وإن نجحوا في رصده بماهية أخرى غير المنظور الإسلامي فهو تأكيد لما قلناه في السابق بأن المشروع النهضوي للإخوان لا يختلف عن المشروع النهضوي لبقية الأحزاب والكيانات الأخرى بشتى توجهاتها يمينية كانت أم يسارية، وهو أيضاً ما يُبطل نظرية وجود الحل الإسلامي كحل فريد من نوعه مُخبأ لدى بعض الكيانات في انتظار لظهوره ومن ثم نجاحه.

مثال على ذلك -لتقريب الفكرة- ما يحدث من محاولات للمسئولين للسيطرة على مشكلة الأسعار أو صناعة التنمية الإقتصادية والعقارية، فجميع حلولهم لو خلت من الرؤى الإسلامية الفريدة من نوعها والجديدة" كما كانوا يدعون ناخبهم بوجود حل إسلامي يتمثل في تطبيق الشريعة يستطيعون به حل جميع مشاكل المجتمع فهذا يعني أنهم والعلمانيون

شئ واحد، وأن الإخوان في حقيقتهم هم علمانيين إلا لو أقدموا على إجراء تجارب مالية للتنمية والإدخار على شاكلة شركات توظيف الأموال التي قامت هي الأخرى في نفس هذه الظروف تقريباً أو تجربة البنوك الإسلامية التي أصبحت لدى الفقير لا تختلف عن البنوك "الربوية" سواءً بفائدتها أو بشروطها التعجيزية أو إمكانية تحايلها في محاولة منها لخلق واقع إسلامي "فريد من نوعه" وهو ما قد يصنع ارتباكاً هائلاً في سوق المال وخسائر فادحة

### ٣- الإخوان والسيطرة

تظل الأوضاع السياسية في مصر بين المراوحة والثبات في ظل أثر الطموح الإخواني في السيطرة... فالمشروع النهضوي الإخواني-حسب فكر الإخوان- يتطلب السيطرة لمنع أي عوائق قد تقف حائلاً بين الفكرة والتطبيق، بين الأمر والتنفيذ. وهذا يعود بنا إلى الوراء قليلاً إذ واجهت حركة حماس نفس الوضع بعد فوزها في الإنتخابات التشريعية الفلسطينية منذ ٦ سنوات تقريباً. ولكن الفارق بين حماس والإخوان يظل فارقاً ماهوياً يصعب عن طريقة التقليد أو تكرار التجربة. مع تسليمنا بأن الحركتين نشأتا من منبع فكري واحد.

الكيان الحمساوي ومنذ نشأته وهو كيان مقاوم عسكري يمتلك الكوادر العسكرية اللازمة سواءً للدفاع عن النفس أو القيام بعمليات عسكرية نوعية ضد كيان الاحتلال.. وبالتالي فالوجود العسكري الحمساوي داخل الهوية الفلسطينية مشروع.. بينما ينتفي ذلك عند الإخوان فلا مشروعية لوجود عسكري إخواني في الهوية المصرية، وبالتالي فلو قصرت الأجهزة الأمنية المملوكة لحركة فتح في مهامها مع الحكومة المنتخبة فمن السهل عنه الإستعاضة بوجود عسكري حمساوي يحل محل هذه الأجهزة وهو ما رأيناه بسرعة في فكرة تحويل بعض الكوادر الحمساوية العاملة في مجال الأمن الداخلي الشعبي إلى شرطة حكومية فيما بات يُعرف-آنذاك-بالقوة التنفيذية.

لذلك باتت الإرادة الإخوانية في امتلاك قوة التنفيذ ضعيفة أو معدومة إلا إذا استطاعت الجماعة بسط كامل سيطرتها على جميع السلطات بما لا يسمح بتكرار تجربة عبدالناصر أو جبهة الإنقاذ أو البشير والترايبي أو حزب الرفاه، وكلها تجارب تيارات إسلامية كانت شبيهة فيما عدا حضور المؤثر الإعلامي والذي يظل الأقوى في تغيير كافة المعادلات والتعريفات،

وسواءً نجح الإخوان في السيطرة أو فشلوا فسيظل الحلم الإخواني قائم على.. "الحل الإسلامي".. مهدداً فيما لو لم تواجه الجماعة ذاتها -قبل مجتمعتها- بوضوح.. وخلاصة ما يجب مواجهته هو عدم واقعية الحل الإسلامي "في الوعي الإخواني" أو بالأحرى عدم صلاحيته للتطبيق.. وهي أكبر معضلة لا تكاد تجد لها إجابة صريحة شافية .

## الفصل الثالث: تشوش الرؤية

### ١- العاطفة تسبق التحكم والإبداع

ما علاقة العاطفة والإبداع بما نحن بصدده؟.. أريد هنا مناقشة مواقف الدكتور مرسى في الآونة الأخيرة والتي نرصد بعضاً منها في شكل زيارته الخارجية أو أسماء زوار مصر في أوائل أيامه في الرئاسة، كنت أفضل أن يظل الرئيس مرسى حبيب المكتب الرئاسى والشارع المصرى معاً قبل أن يبحث عن علاقاته الخارجية وكيفية تعزيزها أو صناعة الجديد منها في هذا الوقت، فمصر تمر بمرحلة دقيقة تكاد تواجهها لأول مرة، أن يصعد فصيل سياسى كان محظوراً في الماضى هذا يعنى انقلاب فى مشهد الحكم واختلال قاعدة الولاءات، وهذه أيضاً علامة تغير كبير ليس سياسياً فحسب إنما أيضاً اجتماعياً ودينياً، علاوة على أن وجود مرسى وسط الشعب فى هذه المرحلة يُعْلِى من أسهمه ويساعد فى تطوير قاعدة التعاون معه ومن ثم نجاحه.

أما غيابه المتكرر عن مصر -هذه الفترة- والذي بدأها بزيارة للسعودية أعقبها بالإجتماع الإفريقي فى أديس أبابا كل هذا فى غضون أسبوع هذا يعنى أن الرئيس بعيد تماماً عن المشهد المصرى وتحدياته، فيما لو كان لديه مستشارين ومساعدين ونواب وهو لم يعينهم بعد -حتى هذه اللحظة- فهذا يعنى أن جماعة الإخوان المسلمين تساهم بشكل كبير فى الإدارة مما يعنى سبق العاطفة على الإبداع وهذا خطر كبير قد يواجهه ليس فقط الرئيس مرسى بل أيضاً الإخوان والشعب معاً، فالقرار الرئاسى لو لم يستقل عن الإخوان كجماعة وفكر هذا يعنى تورط الكيان الرئاسى فى لعبة الخصم السياسى والتي ستعيق عمله كما أعاقته من قبل فى أزمة المحكمة الدستورية ومجلس الشعب.

أيضاً من مشاهد سبق العاطفة على الإبداع هو ما قيل عنه اختيار نائبين للرئيس أحدهما امرأة والآخر قبطياً، وكأن العاطفة هنا أرادت أن تُطمئن الآخر بأن الإخوان لديهم موقف جيد من الأقباط والمرأة، ولطالما اتهم خصوم الإخوان الإخوان بأن منهجهم لا يعطي للمرأة والأقباط حقوقهما فمن الوارد ظهور تطمينات من الجانب الإخواني كان هذا التصرف أحد أوجهه، ولكن في المحصلة إذا حدث ذلك فهذا يعني وجود فرز اجتماعي وطائفي قد تتضرر منه مصر مستقبلاً، وربما نعيش واقع المحاصصة العراقية واللبنانية ولكن هذه المرة بثوب مصري إخواني.

## ٢- الخلط بين هوية الخطاب ومحتواه

الهوية الخطابية هي التي نعني بها الإتجاهات والمبادئ العامة التي يقوم عليها الخطاب.. ولا أحسب أن هوية الخطاب عليها خلاف حتى مع خصوم الإخوان فتقريباً تكاد تكون الإتجاهات والمبادئ واحدة وإن اختلفت المسميات، بمعنى أن طرفي الصراع "الإفتراضيين في المجتمع المصري" هم الإسلاميين والعلمانيين.. هؤلاء يجمعهم البحث عن دولة مدنية تقيم العدل والمساواة بين الجميع، ويجمعهم أيضاً نفس الطموح للارتقاء بالمواطن فكراً واقتصادياً وسياسياً، ويجمعهم أمل النهوض بمصر من كبوتها السياسية وتآكل دورها الإقليمي لصالح قوى أخرى باتت هي الأبرز... وهكذا... أستنتج من ذلك -ولا أحسب أن عليه خلاف- أن الهوية الوطنية تجمع الجميع على هدف ومبدأ واحد.. ولكن يظل الخلاف في المحتوى الخطابى لدى الجميع بما فيهم الإخوان..

من ذلك أرى أن النقاش بشأن المحتوى هو الفاصل في حل الخلاف وتضييق ساحة الصراع، لا كما يفعل التيار الإسلامي الآن من خلط واضح بين ماهية خطابه العام وبين محتواه في محاولة لصد الرؤية العلمانية المتجذرة في المجتمع المصري سلفاً، وهي -أي الرؤية- لها أنصارها من النخبة والعوام على حد سواء وأن الوافد الإسلامي دخل بشئ من الضمير والحس الوطني الديني رغم عقلانية مفهوم الدولة عند العوام وفي هذا قد نتطرق إليه بشرح أوسع.. ولكن لماذا اخترت الإشارة إلى خلط الإخوان دوناً عن غيرهم؟

نقول أن الخلط لدى الجميع موجود... ولكننا عملياً في مصر أمام تيارين هما الأبرز على الأرض الأول إسلامي والثاني علماني.. الأول يقوده الإخوان عملياً وهو صاحب المبادرة

والخبرة السياسية الطويلة وعليه يكون الشاهد، وبالتالي فتسليط الضوء على الإخوان هو محاولة للتوفيق تكون عملية فهم باستطاعتهم إقناع شركائهم في التيار الإسلامي بجدوى الفصل الخطابي.

أما التيار العلماني فنزعتة العقلية الكلاسيكية توحى بأن ماهية خطابه ومحتواه نهضوية ارتقائية، ورغم احترامي الشديد لتلك النوعية من التفكير الكلاسيكي القائم على تنشيط عمليات الإدراك من الذات إلا أن ما يعيبونه على إخوانهم الإسلاميين من حصر الإدراك بالنص قد يقعون به في حضيض التقليد أيضاً.. فهناك لدى الإسلاميين نصاً مقروءاً لكن في حالتهم يوجد لديهم النص عبر صور مقروءة ومرئية معاً فضلاً عن رؤى فلاسفة الغرب في الإصلاح كلها مشاهد تشكل وعياً إصلاحياً ليبرالياً .

وفي الساحة نرى بعضاً من تلك المشاهد التي تروج لضرورة التعلم الغربي بحذافيره، وكأن التجربة المصرية غير قابلة للتفرد، ولكن في مقابل هذا التيار "الافتتاحي المتطرف" يقابله تياراً "انغلاقياً متطرفاً" أيضاً. تياراً يرى في الدين صورة تطبيق الحدود وغلق الخمارات والملاهي الليلية وهدم الأصنام "التمثيل" وتحريم الإبداع وما إلى ذلك من أفكار تصب في مصلحة التيار "الافتتاحي المتطرف" من الجهة الأخرى.

خلاصة ذلك أنه لا هذا ولا ذاك يمثلان مرجعياتهما وإن كان لهما أنصار في الشارع، ومعه تبقى ضرورة الدعوة لفك الارتباط بين ماهية الخطاب ومحتواه.

### ٣- الواقع الافتراضي ومحاولات التغيير

تأتي عمليات التغيير دوماً لاستبدال الوضع الطالح بآخر صالح حسب رؤية القائمين على التغيير، ولكن ماذا سنفعل فيما لو كان الوضع الطالح "برؤية القائمين" هو في حد ذاته وضع افتراضي تتحقق فيه أغلب المطامع الإصلاحية؟.. هذه إشكالية رؤية ورصد معاً، فالخلاف حول تصور هذا الوضع وتعريفه هو الشاهد في الصراع، وأعتقد أن منشأ هذا الخلاف في العادة ما يكون من إجبار كل طرف لآخر على التفكير بنفس طريقته وهذا مُحال، فطرائق التفكير تختلف من إنسان لآخر فما بالنا باتجاهات سياسية وفكرية متصارعة، هؤلاء يكون الجبر لديهم حرباً عليهم وعلى ذواتهم، في حين تأتي محاولات الإجبار من مرجعية إقصائية

يظن أصحابها أنها إصلاحية ولكن بجهلهم بسُبل التطبيق وبواقعهم ومحيطهم يقعون أسرى للتسلط والوصاية وسطحية التغيير .

مثال على سطحية التغيير هذا العامل الذي يقوم بهدم عقار وتشريد سكانه قبل بناء عقار آخر لتسكينهم، مثال آخر ما يجعل ميكانيكي السيارات يقوم بتصليح موتور السيارة أثناء تشغيله.. وغيرها من الأمثلة يجمعهم الجهل بطُرق التنفيذ، حتى مع تصورات البعض الساذجة التي تدعي صحة التغيير في حال التدرج فهو لاء يضحكون على أنفسهم ويبررون فشلهم الفكري بعملية إزاحة نفسية تُلقى من على عاتقهم كاهل المسؤولية، والحق أن عملية التغيير إن لم يصحبها فكرة قوية وواقعية فلا مجال إذاً لزعم التدرج، فمن عزّت عليه الفكرة وصلابتها تاهت عنه الآلية .

ولدينا كثير الأمثلة التي تدلل على ما نقوله من فشل فكري كتجربة النميري السودانية وما أعقبها من انقلاب عسكري للبشير والترابي في تجربة إسلاميين كانت مريرة أعطت وبوضوح صورة حقيقية للإسلاميين بعيداً عن محاولات التلميع "الأيدلوجية".. هذا النميري الذي مدحه الكثير من رموز ودعاة التيار الإسلامي كالشيخ كشك والتلمساني وصلاح أبو إسماعيل ويوسف القرضاوي والشيخ الغزالي وغيرهم... ولكن مع فشل تجربة النميري في السودان لم نرَ مراجعات فكرية اللهم إلا من الشيخ حسن الترابي الذي يظل مكافحاً ضد جهل الماضي ورواسب فشل الإدارة.

مع ذلك فالمسألة تتعدى مجرد المدح إلى تصور رؤى الإصلاح المستقبلية، وأظن أن الرؤى -تقريباً- منعدمة اللهم إلا طرحاً طوباوياً عاشته شخصياً عندما كنت في الجماعة أختصره في بعض الأبيات الإنشادية الموجز والمعيرة كقول الشاعر المصري.. "بحلم لو عاد الإسلام يُحكم من تاني ويخلي صحاري الأوطان خُصرة وأماني".. هذا الطرح الإنشادي كما نرى يعالج مشاكل المجتمع بالحكم الإسلامي في إيجاز مُخلٍ لرؤية الإسلاميين المتكاملة حول قضية الدولة والدين، ورغم بلاغة قول الشاعر الذي خرج باللهجة المصرية إلا أن الشاعر لم يذكر أن الإسلام ليس فيه نص واضح وصريح يقول بكيفية حُكم دولة عصرية تعيش في مجتمع عالمي إعلامي متقارب في القرن الحادي والعشرين، ولا ما دون ذلك لن يجد نصاً يوضح ماهية الحكم، وفي هذا تجاوز من الشاعر الذي يقصد -كما هو واضح- أن القائمين على طلب الحُكم الإسلامي هم في ذواتهم القائمين على الإسلام بدلالة وجود الفاعل في البيت

الشعري ديانةً وليس شخصياً، وعليه كان من الأولى أن يقول البيت الشعري هكذا.. "بحلم لو عاد الإسلاميين يحكموا من تاني ويخلّوا صحاري الأوطان خُصرة وأماني"..

### هامش:موقفي الشخصي من الدكتور محمد مرسى

الدكتور محمد مرسى عقلية علمية ناجحة في مجاله وهو ما لمستّه من سيرته الذاتية ورؤيتي "الشاملة" له ليست رؤية شخص لشخص.. بل رؤية شخص لإدارة خاصة بعد فوز الدكتور مرسى برئاسة الجمهورية، وهذا منصب رفيع يُحتّم على صاحبه التآني والعمل للصالح العام وتجاوز الخلافات، من هنا أنطلق.. ولكن مع هذا فرؤيتي له كشخص -إن سلمنا بأن لنا الحق في ذلك- فهو و رغم احترامي له ولمكانته العلمية والقيادية في الإخوان إلا أنه إنسان ضعيف الشخصية وإذا قلنا أنه عديم الشخصية فلا مبالغة.. ولا ملكة لديه في الكلام وهو قليل الذكاء وبطئ البديهة. فوق ذلك كله فهو إنسان غير واضح. كل هذه علامات لانعدام الكاريزما المؤثرة في الآخر..

هناك تصريحات قديمة له لو وجهها له أي صحفي في مؤتمر صحفي "حر".. فسيتلثم.. بل غالب كلامه خلال حملته الإنتخابية وللأسف الشديد كان عن حزب الحرية والعدالة وعن جماعة الإخوان.. ولم يحوز طرحه عن الشعب المصري إلا حيّزاً بسيطاً من خطابه الدعائي.. بل كان يُرجع بنود برنامجه لبرنامج الإخوان.. وفي ذات الوقت يقول أنه سيستقيل من الحزب في حال فوزه..

كيف تطالبني بتصديقك وأنت غالب كلامك عن الجماعة والحزب... هذه قلة حيلة جعلت من الناجب لا يطمئن له... لذلك كنت من أنصار عدم ترشيح الإخوان أي مرشح في هذه الفترة بالذات، ولكن بعدما حدث فعلينا إما بالمؤازرة وإما بالتوجيه والنقد.. ولكن للأسف لا زالت الجماعة تصر على أخطائها والتعامل مع الخصوم بمنطق التبرير وعدم الوضوح... فهم يعتقدون أن أي فرد لا يريد وصول الإخوان للسلطة هو متآمر أو فلول أو حاقد.. وسيادة هذه الرؤية على القيادات والكوادر دلالة فشل ذريع وضعف كبير وتخبّط واضح وسيخصم ذلك رصيدهم من المجتمع المصري كلما مرّ الوقت..

سيقول قائل بأن التفوق العلمي هو لازمٌ للتفوق الإداري والسياسي، وهذا غير صحيح المتسبب فيه هو الخلط بين التفوق العلمي والذكاء، وهذا الخلط يحدث كثيراً عند العوام... فقد يكون إنسان بطئ البديهة وليست له القدرة على فهم الآخرين ولا يتمتع بالشخصية المثالية وضعيف الذاكرة.. ورغم ذلك تجده متفوقاً علمياً سواءً دراسياً أو وظيفياً والأمثلة كثيرة.. أيضاً فارق بين الأهلية الإدارية والأهلية العلمية... الشخص الإداري موهوب بالفطرة وقد يكون جاهلاً ولا يحمل أي مؤهل علمي... ومنصب الرئيس هو إداري واجتماعي بالدرجة الأولى وليس علمياً... هذه نظرة شخصية قد أخطئ فيها وقد أصيب وهناك ما لم ألمسه في شخصية الدكتور، وأنا كمحلل سياسي لا أحب الحديث عن الأشخاص ولكن هذا البيان هو بيان موجز - من شخص لشخص من وجهة سياسية، ولكن موقفي النهائي من الدكتور مرسي يظل وكما قلت هو موقف شخص لإدارة كما أؤمن بأنه من متطلبات المرحلة.

## الفصل الرابع والأخير : التحديات

### ١ - التحدي الثقافي

وهو أهم وأعظم سائر التحديات والمعلم الوحيد لهذا التحدي في كيفية مواجهة الإسلاميين للحدثات إما بالفهم أو بالمواجهة، فالحدثات هي حالة تغير هائل وإحداث تطوير جذري في البنية الفكرية والحضارية الغربية انتقلت بهم من مرحلة الجهل والجمود والفتنة إلى مرحلة العلم والانطلاق والرؤية.... عكس كثير مما يُظن بأنها دين جديد أو عقيدة أيديولوجية تهدف للقضاء على الدين أو أنها موجهة ضد الإسلاميين خاصة وما إلى ذلك من تعريفات هلامية سطحية لا تمت للعلم ولا للواقع بصلة.

بعد صدمة الحدثات توالى التجارب الفكرية بالإسلاميين في محاولة منهم لتنفيذ وعودهم بالحدثات والتطوير فإذا بهم يغرقون في مستنقع الاستبداد والقمع مما أدى لخلو الساحة للجانب الإقصائي منهم.. هذا الجانب الإقصائي لا يعدو كونه إلا عارضا لافتتاح الإسلاميين على معقل السلفية في منطقة الخليج، لذلك أرى أن الجذور التي بُني عليها التيار الإسلامي كمحور لفهم الدين والدولة وتصور الحياة إجمالاً يتعارض مع مفاهيم العصر... كون هذا



الحدث يتعارض مع الجذور والذي أصبح مسوغاً لقتل هوية الإسلاميين السياسية عبر اتهامهم بتبني فكرة الدولة الدينية وبالتالي أصبحت فكرة عمل الإسلاميين بالسياسة هي فكرة غير مقبولة..

التيار الإسلامي برمته مسئول عن نشوء تلك الإتهامات بيد أن جعل نفسه مدافعاً ممانعاً علي طول الخط، وفي ذات الوقت عمل علي نشأة جذور شعبية له بأعمال البر والدعوة في محاولة لمواجهة تلك الإتهامات بفكرة العمل لا الكلام.. النتيجة أن صب ذلك في صالح خصوم الإسلاميين علي الجانب الفكري بأن جعلوا فكرة الإسلاميين الإصلاحية حبيسة وجامدة، وبالتالي أصبح الإسلاميون يضيقون ذرعاً بالفكر التجديدي الإرتقائي بحجة المؤامرة المسبقة.. وهذا الشعور هو شعور طبيعي في ظل الوقوع تحت أثر الضغط الشديد مع بروز تجاوزها-حسب وجهة نظرهم- ما قالوا عليه أنها مبادئ عامة ومسلمات لا يمكن أومناقشتها.. كان من نتيجة ذلك الصراع أن نشأ فريقين أحدهما عمل علي الحفاظ علي المسلمات المنهجية والآخر أخذ في تطوير تلك المسلمات لعصرنتها ..

أخذت الأفكار الإصلاحية من الجانبين في التنافس المحموم ،منهم من لجأ إلي فكرة الإنتقائية بمعنى أن ينشد المصلح من حضارة غيره ما يوافق دينه وعُرفه، وهذه الفكرة كثيراً ما يلتبس علي معتنقيها مفاهيم ومصطلحات العصر ويلجأون في العادة إلي تعريف تلك المفاهيم والمصطلحات بتعريفات ارتجالية غير واسعة الأبعاد مما يتسبب في نشوء تعريفات خاطئة وظالمة لتلك المفاهيم، بل ووصل بمعتنقي تلك الفكرة إلي الإعتقاد بدينية بعض تلك المفاهيم وعزلها عن واقع وأفكار البشر في مجتمعاتهم...ربما يكون الرأي الآخر مسئولا عن نشوء تلك الأخطاء التعريفية بيد أن جعل نفسه حلقة فساد مجتمعية يواجه بها فكرة الدين والدولة باعتبارهما فكرة واحدة لا تقبل النقاش ،كان من نتيجة ذلك أن نشأ تطرف وتطرف مضاد كلاهما يعمل علي إثبات أحقية رأيه بغض النظر عن واقع تلك المجتمعات التي يتعايش فيها الرأيان ..

هذا التطرف من الجانبين طبيعي جدا في ظل مجتمعات نشأت علي أفكار الحكم علي الآخر بمنطلق ديني أو بمنطلق فكري.. هذا ضال وهذا مبتدع وهذا جاهل وهذا متطرف.. وهكذا

كنتيجة لبلادة فكرية وضمور عقلي أصاب العقليين في ظل استبداد سياسي أدى إلي عدم وجود تجربة ناجحة يُقاس عليها تقبل بتقاطع الأفكار....

الفكرة الأخرى التي لجأ إليها البعض وهي فكرة "المُشترك الإنساني". بوضوح تنادي تلك الفكرة بالعمل علي تصور واحد ينتج تقاطع أفكار يعمل لها الجميع من خلفية إنسانية تنادي بالإصلاح والبناء.. وهذه الفكرة أميل إليها لاعتبارات عدة..

١- أن فكرة المشترك الإنساني نفسها تقبل بتقاطع أفكار تحاكي الإصلاح والعصر ولا تنتكر للمسلمات الدينية والعرفية.. وبالتالي ستؤدي بالتبعية إلي نقلة نوعية يستطيع بها الإصلاحي فهم مصطلحات العصر بطريقة عصرية وأقية..

٢- هذه الفكرة ستعمل حين تطبيقها علي مواجهة التحولات السياسية المقصود منها تحولات فكرية بقصد الانتصار لفكرة معينة.. بيد أن الإصلاحي يهدف إلي نقطة إلتقاء إنساني بغض النظر عن اتجاهات الأغلبية المرنية.. فقد تكون اتجاهات تلك الأغلبية غير صائبة وتستخدم الدين والإعلام إما لمسالمة الأغلبية بمكوناتها الفكرية والسياسية أو مسالمة ذوي القوة والمنة..

٣- أن الإصلاحي بمشركه الإنساني مع ذوي الحضارة يعمل من منطلق خلفيته هو لا من خلفية من يقلده ، وهذا سيكون له أثراً أيجابياً في تطوير فهمه لدينه والتكيف مع أعرافه دون انجراره للفساد..

٤- أن فكرة الإنتقائية لا تعالج الخلافات الدينية أو الأعراف التي نتجت عن سوء فهم الأديان، وبالتالي كان الإرتكاز علي الدين هنا كمن يرتكز علي حجة غير قطعية إن لم تجري عصرنتها فستظل طريقة فهم المصطلحات العصرية حبيسة للخيال دون الواقع.. وأظن أن هذا ما يعاني منه قطاعا كبيرا من التيار الإسلامي..

٥- وأخيرا أن من مزايا فكرة المشترك الإنساني هو عدم إحراج الدين عند التعرض للفشل أو أي نوع من السقوط المهني أو الأخلاقي..

بعد هذين العرضين أرى أن التيار الإسلامي وإن اختلفت مكوناته الفكرية والسياسية إلا أنه سيتعرض حتما لتحديات صعبة تستلزم منه الصمود بالتوازي مع الحركة الفكرية لعناصره.. فالصمود دون الحركة سيبنى حاجزا من الخوف يتطور مع مرور الوقت إلى هاجس مستمر من الآخر.. أما الحركة الفكرية الموازية للصمود ستمكنه من التحكم وامتلاك زمام المبادرة لعرض آرائه وتجاربه دون ضغط...

أيضا فالتيار الإسلامي مطالب في ظل اختياره بين الإنتقائية أو المشترك الإنساني بحماية حقوق الأقليات الدينية من وجه قبول الآخر وليس من وجه التسامح، وهذا العمل يلزمه تشريعات تحد من ظواهر القمع الديني سواءا كان فكرياً أو بدنياً، نفس الأمر موجه للأقليات السياسية أو المنهجية.. فالتعرض لهذين الحقين يسلب حق المواطنة لتلك الأقليات والتحول إلى دول دينية دكتاتورية... فهل التيار الإسلامي مستعد لاستلام المهمة؟

إن تحرير مرتكز الإنتقائية وعلاقته بفكرة الدين والدولة في الوعي الإخواني هو ما سيُسَهِّل -فيما بعد- فهم قضايا التعريفات وحملها على طبيعة إنسانية أكثر واقعية، كمثال تعريف العلمانية فهو من التعريفات والمفاهيم التي تختلط فيها الأفهام.. وهنا سأجري محاولة لرصد هذا التعريف من عقلية نالت احترام الإخوان ولكن للأسف كان احتراماً دون إخضاع أفكاره للتجربة، هذه الرؤية التعريفية هي للفيلسوف اليساري الإسلامي الراحل الدكتور عبدالوهاب المسيري -رحمه الله- حيث أقدم على فصل المفهوم العلماني إلى جزئين الأول وهو العلمانية الجزئية والثاني وهو العلمانية الشاملة، ولكن ما يخصنا فقط هو مفهوم العلمانية الجزئية حيث كان تبني الدكتور له دافعاً لفهمه.

**يقول الدكتور المسيري في تعريفه للعلمانية الجزئية:**

"العلمانية الجزئية هي رؤية جزئية للواقع (برجماتية - إجرائية) لا تتعامل مع أبعاده الكلية والنهائية (المعرفية)، ومن ثم لا تتسم بالشمول. وتذهب هذه الرؤية إلى وجوب فصل الدين عن عالم السياسة وربما الاقتصاد، وهو ما يعبر عنه بعبارة «فصل الدين عن الدولة». ومثل هذه الرؤية الجزئية تلزم الصمت بشأن المجالات الأخرى من الحياة؛ كما أنها لا تنكر

بالضرورة وجود مطلقات وكميات أخلاقية وإنسانية، وربما دينية، أو وجود ما ورائيات وميتافيزيقيات؛ ولذا لا تتفرع عنها منظومات معرفية أو أخلاقية" انتهى

هذا التعريف يؤمن به البعض داخل التيار الإسلامي تحت مسمى فصل العمل السياسي عن الدعوي، هكذا أراه.. فالفارق معدوم.. فقط تلك المصطلحات تخاطب عقولاً دون عقول وهو ما يشير إلى قضية وجوب التخصص وألا يطغى تخصص علي آخر كما سنُكمل فيما بعد، وأن لا يدخل الإنسان نفسه في ما لا يبرع فيه ، ولكن بما أن الوعي الإخواني لم ينضج بعد في استيعاب تلك النظرية فاستشككت عليه رغم أنها قضية محورية داخل الصف الإسلامي وكثيراً ما يجري مناقشتها والخلاف في شأن تصورها رغم أنني شخصياً أرى أن تصورهما سهل وفي منتهي البساطة، فقط عندما يسمع الإخواني كلمة "فصل" يهياً إليه أنها العلمانية الغربية المذمومة....!

#### نعود إلى العلمانية الجزئية:

الدكتور المسيري يرى أن العلمانية الجزئية لا تتعارض مع الدين أو الميتافيزيقيا "علم الغيب"..بل كل عملها ومهام نظرياتها تبقى حبيسة العمل السياسي وما تفرع منه ، ويرفض العلمانية الشاملة كونها تؤمن بالنسبية المطلقة وهذه فكراً تأصيل لفكر المادة والشك ، أما العلمانية الجزئية فمن إسمها أنها تتعامل مع الواقع بجزئية العمل السياسي وهذا بالضبط ما يجري في بلاد الإسلام... فالدين قيمة وإجراءاته فيما يخص السياسة لا يقوم بها إلا مختصون ، وإفراد صاحب العمل الديني بالسياسي هو الذي ينتج تشابكاً لصنع دولة دينية تفرض وصايتها علي مخالفيها، وتحكيم النص الديني علي كل مجالات الحياة حتي ما جري فيه التأويل والإختلاف لن يُعتد به حينها لأنك أمام نص ديني يتحدث فإما أن تُعمل رأيك لتسيير شئون العباد وإما تتخلي عنه ووقتها أصبحت عاصياً لله ..

يعني باختصار العلمانية الجزئية هي واقع الحياة الإفتراضي شننا أم أبينا.."راجع الواقع الإفتراضي ومحاولات التغيير".. ورفض الواقع لصنع مجالاً سياسياً يتحدث فيه النص الديني وقتها ستكون صناعة الدولة الدينية أمر محتوم ، هذا لأن النص الديني في معظمه لا يحاكي المتغيرات عبر قواعد حاكمية صارمة ، بل في معظمه قابل للتأويل والخلاف ، وإلا لم نعد لنري أي مفكر أو قيادي يخرج ليعلن بدء مراجعات فكرية ، أما فيما يخص تطبيق ما علم

من الدين بالضرورة فأماننا سبل الديمقراطية وحرية الاختيار... فإذا لم تؤمن بالديمقراطية حينها فكيف ستطبق الشرع الذي تراه دون عرضه علي الناس ، فإذا آمنت بالديمقراطية كسبيل للوصول للدولة العادلة حينها لو أراد الشعب تطبيق الشريعة "الحدود" لكان هذا أمراً ميسوراً.. فقط إعرض ما تراه مناسيا والشعب سيختار..

يضيف الدكتور المسيري:

"ويلاحظ أن تعريف العلمانية باعتبارها فصل الدين عن الدولة يلزم الصمت بخصوص حياة الإنسان الخاصة والأسئلة الكونية الكبرى مثل الهدف من الوجود والميلاد والموت، ولا يتوجه إلى مشكلة المرجعية ومنظومة القيم التي يمكن أن يحتكم إليها أعضاء مجتمع واحد.

ولكن حدثت تطورات همشت التعريف الوردي القديم، منها تعلق الدولة وتغولها وتطويرها مؤسسات "أمنية وتربوية" مختلفة ذات طابع أخطبوطي يمكنها أن تصل إلى كل الأفراد وكل مجالات الحياة.

ثم تغول الإعلام وتعلق هو الآخر وأصبح قادرا على الوصول إلى الفرد في أي مكان وزمان، والتدخل في تعريفه لنفسه وفي تشكيل صورته عن نفسه، وفي التدخل في أخص خصوصيات حياته وحياة أطفاله، وفي صياغة أحلامهم ولاوعيهم.

والإعلام بالمناسبة مؤسسة غير منتخبة ولا توجد أي مؤسسة لمراقبتها ومساءلتها. والسوق هي الأخرى لم تعد سوقاً، وإنما أصبحت كيانا أخطبوطيا يسيطر على الإعلام وعلي كل مجالات الحياة، وهو يوجه رؤى البشر ويعيد صياغة أحلامهم وتوقعاتهم. كل هذا نجم عنه تضيق وضمور -وأحيانا اختفاء- الحياة الخاصة.

في هذا الإطار، كيف يمكن أن نتحدث عن فصل الدين عن الدولة؟! أليس من الأجدر أن نتحدث عن هيمنة الدولة والسوق والإعلام، لا على الدين وحسب، بل على حياة الإنسان العامة والخاصة.

إن ما يتشكل على أرض الواقع أبعد ما يكون عن فصل الدين عن الدولة، وإنما هو أمر أكثر شمولاً من ذلك، لأن آليات العلمنة لم تعد الدولة وحسب، وإنما آليات أخرى كثيرة لم يضعها من وضعوا تعريف العلمانية في الحسبان، من أهمها الإعلام والسوق والدولة المركزية القوية". انتهى

أري أن هذا التعريف أقرب إلي الواقع والأدلة، والحُجج من الواقع تقويه بيد أنه لم يتحدث عن نظريات أكاديمية ليس لها وجود بل حكم المتغيرات في إعادة تعريف الثوابت وهذا لب مهام العلماء....التجديد... فالإسلام لا يتكلم إنما يتكلم به الرجال هكذا قال سيدنا علي كرم الله وجهه، وأن لابد للناس من أمير، كل هذه الأطروحات هي رد طبيعي علي جزئية الحكم.. ببساطة فالقائم علي الحكم مادام إنساناً فهو خاضع للطبيعة البشرية يخطئ ويصيب، أو كما قال الترابي كنا نثق في الأخ لكونه ملتزماً ونصعده لأعلي القيادات والرتب ولم نكن لنتفادي فتنة السلطة فوقنا في المحظور...

سلمنا بورود شُبّهات حول قضية الفصل لصالح الرؤية الإخوانية، وأن النص قاضٍ حاكم، وأنه لا مجال لتصديق الرؤية الليبرالية على حساب النص المقدس وبهذا يضع الإخوان كلام الله في مقاربة أمام كلام البشر!.. وهذه مقاربة ظالمة وغير منطقية، لا يقوم بها إلا كل من لم يفهم بعد قضية الدين والدولة، هذا لأن الله حقيقة مطلقة ولا يجوز أن نقارن تلك الحقيقة المطلقة بفكرة قابلة للنجاح والفشل، فلو نجحت الفكرة ماذا ستقول عن الله؟؟!!....أترك للإخوان الجواب....بتوضيح أكثر فالعلمانيين الهندوس نجحوا في الهند والشيوعيين نجحوا في روسيا والكاثوليك نجحوا في أوروبا، ونجاحهم جميعاً يكمن في الجانب الحضاري فإذا ما قارنت بين نجاح هؤلاء وبين الله فهذا ظلم عظيم ومقاربة مموجة لا علاقة لها بالعلم ولا بتنزيه الخالق..

أما إذا كان الحديث في الجانب العقدي وتصور العلمانيين لعقيدتهم فلا أحسب أن هناك خلافاً علمانياً إخوانياً، بل أن تحرير قضية العلمانية الجزئية -المطروحة أعلاه -سيقف فيه الفرقاء علي أطر وزوايا للفهم يستطيعون بها المقاربة فإن لم يتسنى لهم الوفاق فلا إنكار مع اجتهاد ويبقى الفصيل هو أرض الواقع والسماح للتجارب..

## ٢- التحدي الأصولي

قبل البحث في هذا النوع من التحدي لنا أن نسأل.. هل المجتمع المصري أصولي؟.. سؤال كثيرا ما كان يراودني وأنا أبحث عن الوسطية بين أعين الناس وقلوب وسلوكيات المصريين.. في الحقيقة لا أستطيع أن أجزم بالإجابة نعم أو لا، فالإجابة تتطلب معرفة تامة بطبائع وآراء وأفعال قاطني كافة مدن وقرى الجمهورية، وعليه فليزمننا في هذا المقام أن نتعرض لظواهر والحكم عليها، فالظاهرة هي أيا كان شكلها هي تنفيس طبيعي لما يعاني منه أو يتميز به المجتمع... ولكن قبيل البحث في الظواهر علينا أولا تعريف "الأصولية" كي يكون التحليل أكثر صرامة علمية ومنهجية...

الأصولية كما هي في موقع المعرفة الأول ويكيديا هي.. "اصطلاح سياسي فكري يشير إلى نظرة متكاملة للحياة بكافة جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية نابعة عن قناعة متأصلة نابعة عن إيمان بفكرة أو منظومة قناعات، تكون في الغالب تصورا دينيا أو عقيدة دينية"...... وهي وبهذا التعريف تتجاوز ما تعارف عليه بدم الأصولية إذ سيُقال وما المانع أن تكون النظرة للحياة نابعة عن قناعة دينية أو أن يكون هذا التصور هو قناعة مبنية علي عقائد دينية؟؟.. وهذا السؤال يتطلب أولا قبل الإجابة عليه معرفة هل تلك الأصولية نتيجة لاجتهاد فكري أو صدام أدبي للتنوير أم هو رد فعل لحالة حضارية اتسمت بالشمولية والاستبداد والرفض؟

أستطيع أن أحكم بأنه لو جاز لنا وصف المجتمع المصري بالأصولية أن نقول عنه أنه نتاج إحدى الحالتين، وبالتالي سيكون توصيف المجتمع لأحدهما دوناً عن الأخرى..

الحالة الأولى هي اجتهاد فكري أو صدام أدبي للتنوير، فمن البديهي أنه وحين الإجهاد الفكري أن يصاحبه صدام أفكار كنتيجة حتمية لهذا الإجهاد، وبعد الصدام تأتي فرقة محافظة وفرقة إصلاحية ويدور بينهما صراع ثقافي وأحيانا ما يكون سياسيا يؤدي بالتبعية إلي نظرة جديدة وعصرية لمصطلحات ومفاهيم تلك الحقبة، وبالتالي يتم تفسير تلك المصطلحات والمفاهيم تبعا للمحيط الثقافي والجغرافي والسياسي والديني مما يخلق مرونة

تؤدي إلى نظرة جديدة ومتعارف عليها للأصول والفروع الدينية ستعمل على محاكاة واقع المجتمعات بطريقة سليمة...

أما في الحالة الثانية التي تتسم بالشمول والقمع والرفض فمن المفترض أن تكون الأصولية في هذه الحالة هي رد فعل على ظلم ورفض لمظاهر التدين، ومن أهم سمات هذه الحالة هي نشوء دعاة ووعاظ دينيين يهبطون فجأة على تلك المجتمعات دون أي خلفيات دينية أو فكرية تمكنهم من إنتاج دراسات معتبرة ومُعتد بها ومتعارف عليها، بل ستجدهم بالكاد يثيرون الخلافات ويتسببون في أزمات ثقافية ودينية وسياسية مما يفتن المجتمع بهم لتوقه المسبق لمظهر التدين المفقود... فالإستبداد والقمع من شأنه إحداث حالة بلادة فكرية لدى الشعوب ستؤثر تلك الحالة على المنتج الثقافي لهم وبالتالي وحسب نظرية الفراغ فأى متحدث بإسم الدين يكفي فقط امتلاك روح الخطابة أو فصاحة اللسان ليأسر قلوب العامة. فالقلوب نفسها فارغة وتفتقد للزعامتين السياسية والدينية.. وعليه ستكون الأصولية ضاربة في نفوس هذا المجتمع..

الحالة الأولى التي أدت للأصولية هي جيدة لأنها مرت بمراحل المعرفة وتسببت تلك الحالة في تحريك العقل من ركوده وبلادته إلى الإنطلاق والنهضة.

أما الحالة الثانية فهي ليست جيدة إذ لكونها كانت رد فعل فهي بالكاد لا تمتلك وسائل المعرفة المطلوبة للتشخيص وستسبب في إنتاج شخصية إنسانية متسلطة لا تراعي حق الآخر في الحرية والإبداع ، وستستخدم الدين حتما في قتل المجتمعات عبر الإهتمام بالصغائر وترك الكبائر..

بعد عرض هاتين الحالتين نستطيع أن نوجزهما في تبعية أهلية العقل للإنتاج والعمل النهضوي لشرطين أساسيين .. أولهما الحرية بتعريفاتها المتعارف عليها... ثانيهما مرور العقل بمراحل المعرفة مما يكسبه ميزة التجربة وبالتالي سيكون التشخيص سليما...

أما عن صحة توصيف المجتمع المصري بالأصولية فهذا نكله لتعريف الحالتين ورغم أنه تعريف سيخضع حتما للنسبية إلا أنني أراه أقرب التوصيفات لمعرفة الأصولية وتمييزها في شخوص الأعيان والمجتمعات، هذا رغم أنني أرى أن المجتمع المصري هو إحدى أقوى



المجتمعات العربية التي تجمع بين الأصولية في الحالتين ولكن وفي ظل التنافس بينهما يتأرجح الفوز لأحدهما علي الآخر حسب الظرف السياسي والإقتصادي.

أيضاً فالنهضة الفكرية المصرية مرت بمراحل وتجارب عديدة أعترف أن التيار الإسلامي كان منتوجه فيها ضعيفا، بل كان هو نفسه عقبة لتصدير الأصولية الصحيحة بوقوفه ضد أفكار المبدعين وتسليط كشاف الحكم بسرعة دون حوار أو استبيان لمعرفة المتنازع عليه حق معرفته، هذا وإن كان ذلك نتيجة لتأثير القمع علي الإسلاميين إلا أنه خصم كثيرا من رصيد الإسلاميين عند الإعتداد بتاريخ النهضة.. وعليه كان ومن الضروري العمل علي إنتاج تصور صحيح للواقع وربطة بالأصول والفروع، فكم من المبدعين والمفكرين الذين عانوا من نظرية الإقصاء والرفض نتيجة للتعبير عن قناعاتهم وآرائهم..

أيضا أري أن من أبرز عيوب الأصولية الناتجة عن القمع والرفض هو عدم تفهم الحداثة كما ينبغي، بيد أن شكلت لديهم الحداثة أفهاما أصبح متعارفا عليها باعتبار المصطلحات التي أتت بها الحداثة وكأنها أديان و معتقدات وهذا خطأ شنيع يجب مراجعته، فالحكم علي الشئ فرع تصوره، وقبل التجاوز لأبد من الإستيعاب، لا يكفي أبدا أن نختصر الإنسان وعقله الذي ميزه الله بالفكر أن نختصره في نص قد يكون صحيحا وقد يكون ضعيفا، وقد يقبل التأويل وقد لا يقبل، وقد يكون مطلقا وقد يكون مقيدا، وقد يكون ذي اختصاص بالمسألة وقد لا يكون... هنا تأتي مهام العلماء والمفكرين ليس فقط في الشرع بل أري أنه ومن الضروري للأصولية المقبولة أن نعتق رقاب كافة المجتهدين من البتر، وأن نعمل علي صياغة جديدة للعقل المسلم يتقبل بها الآخر دون أن يعتقد بوصايته عليه، وأن ندعم العلم بكافة طاقاتها ، وأن نحترم العلماء والمفكرين، وأن نُجَلِّد الدعاء وفي ذات الوقت لا نتركهم يثيرون الخلاف دون تقويم، وأن نعمل سويا علي إنتاج نهضة فكرية تعترف بالآخر وتُقدس حقه في الاختيار.

في نهاية عرضنا للتحدي الأصولي ينبغي منا العروج إلى أهم عامل من عوامل نشوء الأصولية "المذمومة" في مجتمعاتنا العربية بشكل عام ألا وهو **الجرأة علي الفتوى بغير علم**، لقد ذكر الإمام الشافعي أن من شروط الفتيا هو العلم باختلاف الناس، وهذه مسألة عامة لا تخص الشريعة وحسب بل تتعداه إلي السياسة والاقتصاد وفي سائر المجالات التي تقبل الخلاف والسعة فيها رحمة.... أو كما قال الطبري في إشارته إلي اهل التحقق والتثبت:

"وخص بذلك القوم الذين يوقنون، لأنهم أهل التثبت في الأمور، والطلابون معرفة حقائق الأشياء علي يقين وصحة". تفسير الطبري..

تلك صفة من صفات أهل العلم والفضل نقلها الإمام ابن حجر حيث قال:

"إن الذي يتصدي لضبط الوقائع من الأقوال والأفعال والرجال يلزمه التحري في النقل، فلا يجزم إلا بما يتحققه، ولا يكتفي بالقول الشائع، ولا سيما أن ترتب علي ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم والصلاح، وإن كان في الواقعة أمر فادح سواء كان قولاً أو فعلاً أو موقفاً في حق المستور فينبغي أن لا يبالغ في إفشائه، ويكتفي بالإشارة لئلا يكون قد وقعت منه فلتة، ولذلك يحتاج المسلم أن يكون عارفاً بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم فلا يرفع الوضيع ولا يضع الرفيع" فتح الباري في شرح البخاري.

قد يكون هذا الأسلوب المرفوض نتاج طبيعي لثقافة سائدة في مجتمع، أنه لا وجود للآخر إلا بالإتباع ، هذه الثقافة عادة ما تكون مكتسبة جراء تسلط سياسي أو بروز أنماط مقلدة ليست علي قدر المستوي من الأهلية وهو ما نربطه بنتيجة الإستبداد في عالمنا العربي والإسلامي، فالحق أن الإستبداد يولد نوعاً من البلادة الفكرية المصحوبة بالجهل وهي السبب في نشوء تلك العناصر التي ترفض الرأي الآخر ولوساغ فيه الخلاف..

### ٣- نقد الأصولية من واقع فكرة "روجيه جارودي"

الأصولية كما أفهمها هي الإرتكاز علي أصول القيم والمبادئ التي دعت إليها كافة الأديان ، تلك الأصولية لا تنحرف عن التفكير المستقيم الذي يجعل العلماني والإخواني والمسلم والمسيحي والمؤمن والملحد والسني والشيوعي أسوياء أمام القانون ونظام الدولة... وبالتالي فأنا أفهمها من وحي مفهوم الأصل، .وليس لي شأن بالأصولية المتعارف عليها لدي أكثر الأذهان بأنها رمز من رموز الإنحطاط والجمود والعنف..كمثل تعريف"روجيه جارودي" الذي قال:

" تقوم الأصولية على معتقد ديني أو سياسي مع الشكل الثقافي أو المؤسسي الذي تمكنت من ارتدائه في عصر سابق من تاريخها. وهكذا تعتقد أنها تمتلك حقيقة مطلقة و أنها تملك حق فرضها .

و المكونات الأساسية للأصولية هي:

- ١ - الجمودية، و رفض التكيف، جمودا معارضا لكل نمو أو تطور.
- ٢- العودة الى الماضي ( و الانتساب الى التراث، والمحافظة ) -
- ٣- عدم التسامح ، الانغلاق، التحجر المذهبي، التصلب، العناد والكفاح.

أي يمكن للأصولية أن تضع نفسها كجمودية في مواجهة التطور، كتراث في مواجهة الحداثة، كتحجر مذهبي في مواجهة الحياد الموضوعي . " و يضيف غار ودي " لا يمكن لنقد الأصولية أن يكون فعالا إلا إذا استند أولا الى معرفة الآخرين السخية أو معتقداتهم التي تشكل الأصولية تشويها لها. على هذا النحو فقط سنتمكن من مساعدة الآخر على فهم أن ما يسميه دفاعا عن إيمانه و ثقافته هو "أصولية" لأنه وحدَ إيمانه مع الشكل الثقافي أو المؤسسي الذي ارتداه في مراحل سابقة من تاريخه، و لأنه لا يدرك هذا التاريخ في شموليته. فيالها من كفاية غريبة، كفاية الاعتقاد المحض بالتفوق الثقافي الذاتي، فقط لأن المرء يجهل كل الثقافات الأخرى، التي يمكننا انطلاقا منها أن نمتلك نظرة ناقدة الى ثقافتنا و مشتقاتها"

ويضيف غار ودي فيما يخص الأصولية الإسلامية قائلا:

"لا ينطلق الأصوليون المسلمون من الماضي لأحياء أسلام يجيب عن أسئلة عصرنا الحيوية، بل الأمور تجري كلها و كأن المسلم في نظرهم، يعني العيش كرعية الخلفاء العباسيين منذ أكثر من عشرة قرون تقريبا. و الحال فأن الألف سنة التي توقظ الأمل لدى الجماهير الشعبية بعصر ذهبي، توجه شطر تعابير رمزية عن هذا الرجوع: محرمات كسائية أو عبادية تحول شرطا جميلا من شروط الطهارة الى طهرانية شكلية، و من هنا عجز الأصوليين عن تكوين مشروع مجتمعي - تكوين فقه القرن العشرين - . ان برنامج القادة الإسلاميين يتحول الى تكرار، ذي طموح تهذيبي و أخلاقي، لصنع تجريدية من القرآن و

السنة منذ ألف سنة، منفصلة عن سياقها في القرآن و في التاريخ. و هم بذلك لا يدعون الى أعمال الفكر و مبدأ المشاركة، بل يدعون الى الانقياد السلبي للزعماء الدينيين، محترفي الدين ومرترقته، الذين يجعلون أنفسهم بمثابة موظفين لدى المطلق خلافا للأحكام القرآنية. ان حركات كهذه تكون طريفة سهلة لقوى أجنبية جاهزة دائما لتمويلها بسخاء، لأنها تعزز كل السلطات الأمر الذي يسمح لهذه القوى، بتوطيد وصايتها الأيديولوجية من خلال تبعية اقتصادية" انتهى

من رؤية جارودي يبتين لنا بأنه يرى الأصولية واحدة وهي تعبير عن حالة تخلف وقهر ديني واجتماعي وثقافي تعاني منه الأمم، ولكن لو عدنا إلى أصل المصطلح نفسه فسنرى أن له معنيين واحد في اللغة والثاني في الإصطلاح المتعارف عليه. وقد يشترك معني الكلمة بين الإثنين -كمشترك معنوي، وتلك المصطلحات كالأصولية لا ينبغي إستخدامها إلا في إطار اللغة والإصطلاحات.. لذلك فأنا أعارض جاروي في رؤيته تلك وسأستخدم أسلوب المشاكلة معه قليلاً:

حسب فهمي للقصة بكاملها أري أن كل دين به من المزايا ما يعينه علي البقاء، الحق الخير الجمال ..أي قيم إنسانية لها أصول في الأديان، وبالتالي أصبح استخدام الأصولية مسموحا به في إطار تعريفات معينة وهو ما حاولت فهمه...

أري الأصولية مبادئ عامة تدعو لها الأديان وتتقاطع فيها الأفكار

وهو يرى الأصولية بأنها رجعية وتزمت وعودة بالأفكار عن العصرية ومخالفتها للواقع..

ماذا لو رأينا -مثلا- ما ينقض فكرة جارودي عن مكونات الأصولية.. بحيث تكون كالتالي

١ - المرونة والتكيف، مرونة موافقة لكل نمو أو تطور.

٢ -العودة الى مبادئ وأصول الماضي ( و الانتساب الى التراث، والعمل علي فهمه وعصرنته )

٣- التسامح ،الانفتاح،قبول الآخر،الكفاح.

ألا يجوز لنا أن نطلق عليها تلك التوصيفات أم ماذا؟

قد تكون آلية جارودي التي رصد بها الحالة هو قياسه على الشاذ والمُنكر! .يعني باختصارهو يدعو للتخلص من أصول الأديان وأفكارها ومبادئها بدعوي المبادئ وإن لم يصرح...والرد على ذلك سهل وبسيط فحضارة المسلمين مثلما كان بها السيئ كان بها الحسن، ومثلما كان هناك الأصوليون المقلدون الجامدون كان هناك أيضا الأصوليون العقلانيون المجددون..شكلوا الإثنين طرفي صراع دائم في الأديان وليس فقط في الإسلام..

تيار الغلو الأصولي غالبا ما يأخذ من عُرفه وطِباع مجتمعه ويقيده إلى النص المستهدف بحيث يقوموا علي تطويع الواقع للنص، وهؤلاء مُنكر عليهم أفكارهم وفي العقود الأخيرة برزت حالة تجديد فكري ارتقائي واجهت تلك التطويعات المخلة بالإنكار والعلم..ولكن في المحصلة هناك أصل وعدة أفهام..

أيضا هناك أنواع أخرى من الغلو الأصولي الذي تصدي له المجددون كالخرافة والشعوذة من جهة والإدعاء بإخضاع فكرة الغيب للتجربة، فمقام العقل ثابت في الإسلام واستخدامه للسببية لإثبات العلاقة بين الأسباب والمسببات موجود..

الشاهد أن الوقوف عند حرفية النص وظواهره هي التي تُمكن لناقدي فكرة الدين من النقد اعتماد أيضا علي نفس النص..بينما ينادي الإسلام بالوسطية في الفهم، لا للوقوف علي حرفية النص ولا لتأويله لإفراغه من معناه اللغوي والإصطلاحي..وهذه مشكلة فكرية تواجه ذوي الأصولية المنقودة عند جارودي وبين دعاة المادية في نقدهم لذات الأفكار المنقودة..

لا أتذكر أبدا لتاريخ المسلمين والذي كان في أغلبه تاريخا استبداديا، ولكن الحُكم بناءا عليه يفرض علينا الحُكم علي ذلات وهنات حضارات الغرب، والقياس علي القمع الفكري الذي يواجهه الآخر في بعض البلدان التي تتسم بالحضارة..ناهيك عن التغاضي عن المحيط الثقافي للحضارات وتناسي دور الحداثة في رفعتها ، لا نقيس أبدا واقعا إعلاميا واقتصاديا

واجتماعيا لزمين كان الواقع فيهما أكثر صلابة وتجذرا وتدقيقا وتطورا في زمن دون الآخر...ومعه لا يصح التنكر لمسلمين ركبوا قطار الحداثة حتي لو كانوا علي أول الطريق...فهم جارودي هذا أصولي بحث"حسب توصيفه" يقابله فهم الأصولي السلفي

أيضاً في حين بعد مرور مئات الأعوام علي نشوء حضارة الغرب لم نراه يلتفت إلي أي فلسفة اجتماعية تؤصل للقيم والأخلاق بعيدا عن المادة. فهم يفتقدونها، لذا كان من الطبيعي أن تنشأ لدي الغرب ثقافة استهلاكية للفرد عرفت الحياة لديها في حريات أربعة" سياسية واقتصادية وفكرية وشخصية". فأين الحيز الاجتماعي الذي يشغل العقل الغربي..لن تجده إلا في إطار اقتصادي..فمن الطبيعي إذا أن لا تجد خلق الإيثار لديهم إلا للمصلحة..أما إيثار للإيثار فلن نجده ....

حتي الإطار الإصلاحي لدي العقل الغربي مرتبط بخطوط الإنتاج وكيفية توفير المادة الخام والسوق الإستهلاكية بأي وسيلة حتي لو كانت بطريقة غير مشروعة، حتي لو ادي ذلك إلي احتلال شعوب وإراقة دماء..وأنا متأكد أن الحضارة الغربية لو كانت من ذوي الأديان والمدافعين عنها لفرضت دينها بالقوة، ومن لم يكن كاثوليكيا فلن يتمتع بالإمتيازات..

الخلاصة أنني أرى أن الأصولية -كتعريف ومفهوم - قابلة للتعريف حسب المعطيات والشواهد وهاتين متغيرتين فلا ثبات للتعريف من رؤية قد ترى المثالب وتنكر للمحاسن، وهذا تشجيع على إظهار المحاسن على كل حال، فالمسألة تتجاوز قضية التعريفات إلي قضايا النهضة، وقد نرى الأصولي لا أصولي والعكس.

#### ٤- التحدي الثوري

تمر المنطقة العربية والإسلامية بأحداثٍ جساماً تفرض تحدياً للإخوان والنُخبة معاً ، ذلك لفهم التجارب - قصيرة الأجل - لاستنتاج فكرة تنهض بتلك الأحداث الثورية وتنقلها من الإنفعالية إلي النهضة ، فالإنفعالية حالة غضب تجتاح الطبقات الدنيا المعرفية والاجتماعية علي حد سواء ،تلك الطبقات تُمثل تقريبا الغالبية العظمي من سكان المنطقة..وبناء عليه ينتج رأي عام يؤثر بالتبعية في عقول النُخبة وينقلهم من موقع الدليل الحكيم إلي موقع آخر

يرتبط بالمشاهدة أكثر من التأثير... ومنهم وعبر الأيدلوجيا قد يكون مؤثرا لأثر غير عقلائي  
نفعي.. وهو انتقال عجيب من الأيدلوجيا إلي حالة أقرب إلي البراجماتية تتعثر بخلفيات  
ووهميات لم تجرؤ تلك النُخبة علي التخلص منها أو مراجعتها..

في ظل هذه الحالة كان التوق لعقلانية إسلامية عربية راشدة تنقل الشعوب من مصاف  
الإنفعال الفوضوي إلي مصاف الإنفعال النهضوي، فالإنسان كائن عقلي اجتماعي والعقل  
لديه هو سلطان وجوده كما قال الإمام محمد عبده -رحمه الله.. وبدون العقل يفني الإنسان  
بقنائه لنفسه.. فهو ميزانه ودليله.. وليس أسلم للإنسان من حكمة بالغة ووعي راشد خاصة  
في هذا الوقت.. ليس هذا تأليها للعقل.. فالعقل مرتبط بمصادره المعرفية التي تضم مصادر  
أخرى كالنقل والوحي.. وعليه فبرهان العقل ليس شرطا أن يُحمل علي تصور ذهني تنظيري  
غير تجريبي.. فكفاية الوحي والنقل تجعله متحد مع نفسه وبالتالي يخلص إلي نتائج -في  
هذه الحالة - هي عبارة عن حلول عملية لمشكلة ظن البعض أن لا ملجأ منها إلا إليها...

المبدأ في هذه الحالة يتطلب الوقوف علي مقدسات لا يخرقها انفعال أو فعل أيا كان  
مصدره.. وأري أن أولي واجبات الإسلاميين هو الوقوف علي ماهية تلك المقدسات وإعادة  
صياغتها وطرحها علي الشعوب بشكل يتناسب مع طبائع الشعوب وثقافتهم.. فعلي سبيل  
المثال هناك بعض المقدسات كالإصلاح والوسطية وقضيتي فلسطين والمقاومة وقضية  
التعاش وقضية السلام وقضية الوحدة وما إلي ذلك من قضايا جوهرية لا خلاف علي  
قُدسيتها بين جميع الفرقاء... فالبراجماتية النفعية والميكافيلية التبريرية قد تقضي علي  
بعض هذه المقدسات فيما لو تم التعامل مع هذه المقدسات كفكرة جامدة معروفة الأبعاد  
والثوابت فكان العجز عن مطابقتها مع الواقع والفشل الذريع بتكييفها مع المستجدات..

هذا مُدخل مهم لرصد الواقع العربي والإسلامي بأسلوب أكثر دقة عما تقوم به النُخبة  
المثقفة في هذه المرحلة.. فيبدو أن التجارب -قصيرة الاجل- بدت وكأنها نجما يُهتدي به في  
ظلمات القهر والتعسف.. ولو كان ذلك صحيحا لجاز لنا القول بنهضوية ثورات العرب في  
القرن العشرين سواء كانت تلك التي كانت في النصف الأول أم تلك التي كانت في النصف  
الثاني.. فالواقع العربي والإسلامي لم يشهد تطورا نهضويا حضاريا بفعل هذه الثورات سوي  
بصيص من ثورتي يوليو المصرية والخوميني الإيرانية مع حفظ الفارق الشاسع -التبادلي -  
لصالح كلا الطرفين في بعض الأمور.. وهو ما يضغنا في مواجهة صريحة مع أنفسنا حول

ماهية ثورات العرب تلك الأيام .. خاصة في هذا الواقع الإعلامي التي انصهرت فيه الكينونة الإنسانية في بحر الإعلام فغرقت فيه ولم تعد لها ملاح تذكر ..

فالثوريّ الوحيد والحقيقي ليس هو ذلك الشعب الذي لم يتحصل علي فرصته في العيش الكريم.. بل الثوري الحقيقي هو الإعلام.. فهو بطل المرحلة وهو الموجه الأول.. وفلسفة هذا الثوري تقوم علي عاملي الحشد والحسم بأدواتهما.. في دلالة واضحة صورية علي استعجال للإصلاح.. أما الدلالة العملية فهي الشيطان الأكبر الذي يُهدد تلك الشعوب بالفناء الفكري والحضاري.. تلك الدلالة التي تتمثل في انعدام فكري موجه للثورات.. وبحسب نظرية الفراغ نجد وقد ملأها فلسفة الغرب في استغلال لضعف الإمكانيات العقلية العربية في الرصد والإستنتاج.. وعليه فليس مُستغرباً أن نجد ذلك الفيلسوف الصهيوني برنارد هنري ليفي وكأنه شخصية العام ينتقل بين البلدان رافعا شعارات الحرية والكرامة والعدالة.. أرفض تضخيم حجم هذا الرجل.. ولكنني مُجبر علي الإعتراف بدورة كدليل للثورات العربية وسياسي لا ينفصل عن مراكز صناعة القرار في الغرب - وإن لفظته الشعوب ..

الثورة كحدث ليست بجهة واحدة تنشذ قيما ومبادئاً مُتعارفا عليها.. فما يرفعه ذلك المفكر هو مطلب الشعوب ابتداءً وانتهاءً.. وبالنظر إلي مواقفه من العدو الصهيوني ومجازر الغرب الأوربي والأمريكي.. وازدواجية معاييرهِ في التعامل مع مماثل شعبي كل هذا يفيد بأن الشعارات -لديه- ليست إلا كحصان طروادة لغزو العقل المتحصن أو الأقل تفكيكه وصهره تمهيدا لإعادة صياغته من جديد ..

فمن كبري الدلالات التي توضح صدق هذه التصور هو انتقال الرأي العام العربي من حالة إلي حالة في مسافة زمنية قصيرة.. تمثلت في رفع صور حكاما عرب كأبطال كانوا في الماضي مثالا علي التخاذل وبيع المقدسات.. وظهرت أيضا في الإعتراف بأفضال عدو الأمس والذي كان شيطانا أكبر فأصبح يُقدر قادر مُخلصا شجاعا ندين له ونحفظ جميله.. لم تأت هذه العقلية اعتباطا.. فالمحرك لو كان عالما حكيما ثاقب الفكر وعظيم الرؤية.. لكان سهلا عليه التخيل والإفتراض والعمل للنتائج ..

دور العقلانية العربية والإسلامية -بما فيها الشق الإخواني- لا ينحصر في التخيل والتخطيط .. فتقريباً لا يوجد لدي العرب من يُترجم الافكار إلي واقع عملي سوي كفاءات هَجَرَت ..



مواطنها منذ بداية عصور الإنفتاح التي تسببت في بيع العقل العربي بثمن بخس لا يساوي قيمة الهواء الذي استنشقه.. فالعقول العربية أصبح الكاهل عليها عظيما وهي مُطالبية ليست فقط باحتواء الأزمة بل بالتخطيط للمستقبل ورفع أهلية الشعوب لاستقبال الحلول العصرية لمشاكلها أملاً في مراعاة السنن الكونية وسير التاريخ وأسباب التقدم والإحطاط في المجتمعات.

## ٥ - التحدي التعايشي

الإخوان من أكثر الجماعات العاملة على الساحة دعوةً للتعايش، ولكنها دعوة ممزوجة بنزعة الحكم على الآخر فشابها التناقض والفراغ بين العلم والتطبيق من حيث لا يشعرون، تلك النزعة إن وُجدت في أي ائتلاف أو جماعة كانت سبباً في تدهور العقل الجمعي له وميله للصدام، المجتمع العربي بشكل عام صارت فيه ظاهرة الحكم علي الناس أمراً مرئياً.. فهو ليس مرضاً حصرياً للوعي الإخواني، ولم لا وقد أصبحت الشعوب العربية والإسلامية تفقه في السياسة والشرعية والرياضة وفي كل شئ حتي قيل بأن العربي موسوعة أينما حل أو راح!، تجده يفتي في مسألة شرعية بل وتراه يستدل بحديث أو آية وحينما يعارضه أحد فالجواب جاهز وهو جهل المعترض أو ابتداعه أو كُفره، كلها أحكام مُعلبة لا تشير إلي علم القائل بل إلي جهله، فالتصورات بين كل إنسان وآخر تختلف حتي في أدق الأشياء فما بالك في الخلاف الذي يتسم بالقداسة؟!

بناءً على ما سبق فليس من الغريب أن تجد الخطاب العام للإخوان تعايشي في حين ترى أكثر الكوادر تعتقد بأن الآخر سواءً كان علمانياً أو مسيحياً هو متربصٌ ومتآمر ولو بعد حين، قد لا تظهر نزعتهم الصدامية وقت التحالف أو تقاطع المصالح، ولكنها ستظهر حتماً حين نشوء الخلاف، أقرب مثال على ذلك ما أشرنا إليه سابقاً من صدام إخواني مع رموز وطنية مناضلة كالدكتور البرادعي أو صباحي أو أبو الغار وغيرهم، بل وصل بهم الأمر لاتهام الدكتورة هبة عزت رؤوف المناضلة السياسية والباحثة الإسلامية القديرة بأنها من أنصار النظام القديم بمجرد فقط نقدها للمهندس خيرت الشاطر نائب المرشد العام!

أري أن طرح رؤية للأستاذ خالد الحروب حول نفس القضية هامة جداً، وبغض النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا مع الكاتب إلي أن تصوره جدير بالملاحظة:

"في المجتمعات الغربية هناك مساجد للسنة بمذاهبهم والشيعة بمذاهبهم، هناك المسلمون المتدينون والمسلمون العلمانيون. هناك الحركات الصوفية وهناك الحركات السلفية، وهناك تيارات إسلام «السنة والجماعة»، وهناك الإسماعيلية والأحمدية والبهائية، وهناك المسلمات المحجبات والمسلمات غير المحجبات. وهؤلاء جميعا يتساوون أمام القانون، ولا يستطيع أي منهم التحكم في رقبة الآخر كما يحدث في بلدانهم الأصلية.

وهكذا تتبدى المفارقة المحزنة والمخجلة حقا في غياب «أرض إسلام» تتيح لهؤلاء جميعا أن يتعايشوا مع بعضهم البعض متساويي الحقوق والواجبات، ومن دون أن تحتل فئة منهم موقع السيطرة والصدارة على حساب الفئات الأخرى. هذا التنوع والتعايش يحدث في «أرض الحرب» وفي «بلاد الكفار»، وليس في بلاد المسلمين."

هناك فروق بالتأكيد بين مجتمعاتنا الشرقية وتلك المجتمعات التي تؤمن بالعلمانية كحل وحيد وعصري تطبيقي لمشاكل الإنسان، في مجتمعاتنا لن تجد من يؤمن بأن سب الأديان والسخرية منها من الحريات، حتي طبيعة الدين الإسلامي ترفض هذا العمل وتجرمه، قال تعالى "ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم". بينما نجد مفهوم الحرية في الغرب لا يعالج تلك القضية، إذا نحن أمام ثقافة ستُجبرنا حتماً علي الإنصياع لها وعدم تقليد الغرب بإطلاق.. هذا الرد لمن يدعي بأن التساهل في قضايا الفصل بين السياسي والدعوي الآن سينتج في المستقبل مجتمعا تغريبيا كاملا لا علاقة له بالإسلام.. ناهيك عن وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا بمجدين يجددون هذا الدين لنا كل ١٠٠ عام..

تصور العقل للأشياء لا يمكن أن يخرج عن حيز المعقولات الموجودة، وبما أن الدولة "ككيان" بها مؤسسات وهيئات وخدمات فلا يمكن حصر هذه المعقولات لفكرة حبيسة في الذهن دون إخضاعها للتجربة، فلو لم تُتاح لك التجربة فعليك التماس التجارب من الآخرين، كثيراً ممن كانوا يقولون بأن فكرة الفصل بين العاملين الدعوي والسياسي هي فكرة ضد الدين بل تمادي البعض منهم وقالوا ضد العقل هؤلاء عادوا عن آرائهم ، ذلك بعدما تبين لهم أن الواقع شئ وما يقرأونه في الكتب شئ آخر.. وهذا ما ندعو إليه، أن يكون المسلم معاصر مجدّد قبل أن يكون رجعيّاً تقليديّاً..

ولكن بعيداً عن تلك المشاهد الصراعية التي بحاجة هي الأخرى لصفحاتٍ طوال سنبحت في هذا التحدي التعايشي للإخوان مع المجتمع بإيجاز، فالإخوان كما أنهم جزء من المجتمع المصري لذلك فهم مرضى بجميع أمراض المجتمع المصري، وفكرة التعايش في مصر هي فكرة قديمة لها علامة "فطرية" تُجبر الجميع على احترام المصري لقدرته على التعايش وعدم لجوئه للتمييز، وإذا سلمنا بوجود بعض المشاهد السلبية بين المسلمين والأقباط فينبغي أن نظل في سياقها العام المرتبط بالتجديد الفكري والرؤية الثقافية ، أما التعايش فهو حالة مجتمعية وجدانية تفرض على الجميع معاملة الآخر معاملة حسنة وتقديره من وجه الحقوق وليس من وجه الوصاية، فكما نري نماذج سيئة هناك أيضاً نماذج حسنة وفي المحصلة يتسم الإنسان العربي بالسماحة، ولكن هناك فارق بين السماحة وقبول الآخر فالسماحة تأتي من فكرة التنازل أو الصفح والعفو، أما فكرة قبول الآخر تأتي من فكرة الحقوق وهناك فارق بين الفعل بخلفية حقوقية وبين فعل آخر به نوع من الوصاية...

هذه القسمة العقلية بين السماحة وقبول الآخر كثيراً ما تجد خلطاً من الإسلاميين وبالتالي من العوام وهذا سبب من أسباب الصدمات الفكرية وأحياناً البدنية التي تشهدها الساحة العربية عموماً... هناك قيم إنسانية مشتركة تجمع الناس وهي الحد الذي تستهدفه دعاوي التقريب والتعايش، ومن أهم هذه القيم الإنسانية هي العدل والمساواة، ومن سبل الحصول عليها عملية الإدماج بين العاملين الروحي والثقافي وقيادة الشعوب وهويتهم، بالإضافة إلى ترسيخ فكرة قبول الآخر بجميع مقوماتها لدى الأجيال حاضراً ومستقبلاً... لأنه وبلا شك فالإضطرابات مع الآخر في العالم العربي تنتج في العادة من فكرة الوصاية التي تعد أكبر ..عامل لنزع الحقوق وتخيل العداء

من أبرز الشواهد التي أثرت علي الوعي العربي والإسلامي في الغرب هي طبيعة تلك المجتمعات التي رضيت بالتعايش وقبول الآخر منذ زمن بعيد، أي قبل عصر ما يسمى لدينا "بصدمة الحداثة" وبالتالي فليس من المستغرب أن نجد أقواماً راحلة تأتي علي تلك المجتمعات وتتصف بما يوصفون به، إذاً فالمشكلة هي ثقافية اجتماعية بامتياز والأهم من ذلك أن تلك الصفات التي يوصف بها الإنسان الغربي هي بالأصل مكتسبة فالتاريخ الأوربي في الحروب السياسية والدينية ثابت، وعليه فاكتمال هذه الصفات مرهون بإرادة القائمين على الإصلاح ومجتمعاتهم.

علي جانب آخر فكثيرا ما يعزو أصحاب فكرة الفصل الكامل بين الدين والدولة - تلك الأزمة العربية - إلى صحة أفكارهم التي تقضي بضرورة الفصل الكامل لرفاهية الشعوب وعيشها بسلام، فهم يرون كما يبدو بأن الوصاية الدينية علي المواطن ستنتج مواطنين منافقين يعملون في السر ما يخافون إعلانه ،وبالتالي نزع القيمة الحضارية منه وبدلا من إنتاج ..أفكار تدعو إلي المواجهة والصراحة أنتجت بدلا منها أفكاراً تصنع الخوف والرغبة...

ومناقشة ما سبق يتطلب نوعاً من الجرأة والصراحة فحقيقة الفصل الكامل بين الدين والدولة كمفاهيم واستراتيجيات هي عملية معقدة للغاية ربما تضر المجتمعات المتدينة - كالمجتمع المصري علي سبيل المثال - هذا لأن القيم العلمانية لم تصل بمفهومها الرخو كما وصلت بمفهومها الصلب المعادي للدين، وهذا يعود بالأصل إلي نزعة الغلو والتشدد التي اجتاحت المنطقة العربية في العقود الخمسة الأخيرة، الأمر الذي أنتج لدينا أفكارا معادية للحداثة وللعلمانية بإطلاق، وتناسي المعادون بأن فكرة تنظيم الشعائر الإسلامية في بلاد الغرب دون الاصطدام مع القيم العلمانية هو الذي أنتج هذا التعايش، فكان من الطبيعي جدا أن تصطدم تلك الشعائر مع بعضها داخل مجتمعات تعادي العلمانية بشكل مطلق رغم أنها تؤمن بكثير من القيم التي بُنيت عليها تلك العلمانية دون أن تفهم مصادرها كنتيجة طبيعية ..لنزعة التشوية والاستعداد

ومن ثم تأتي ضرورة التعريف الصحيح بالعلمانية ومفاهيمها في محاولة لفهم واقع غاب عنا نتيجة اختلاف ثقافي معرفي، وبهذه المناسبة أحيل القارئ الكريم إلي كتاب "العلمانية" للدكتور عبدالوهاب المسيري رحمه الله، فهو من أفضل من تحدث في هذا الشأن بتوسع عقلاني يتسم بالاستدلال والمنطقية، وفيه سنقف علي حل هذه المعضلة التي اختصرها فضيلة الدكتور في تقسيم العلمانية إلي علمانية جزئية وهي من صميم الثقافة الإسلامية، ..والأخري علمانية شاملة وهي ليست فقط ضد الدين بل أيضا ضد البشرية

## ٦ - التحدي السياسي

لا ينفصل هذا النوع من التحدي عن سابقه وبالأخص التحدي الثقافي، أيضا فالعلاقة بينه وبين تشوُّش الرؤية وشواهد الجمود كثيرة وهو مبحث طويل ومتشعب ولكننا سنختصره قدر الإمكان، إن التحدي السياسي للإخوان يكمن في فهمهم لقضية الإصلاح ابتداءً، وبتجذر الرؤية الثقافية التي تمكنهم من سلامة التطبيق انتهاءً، مثال ما نتعرض إليه وهي أبرز

قضية خلافية أحد أطرافها الإخوان ألا وهي قضية الدين والدولة، أو بعبارة أخرى قضية فصل الدين عن السياسة، العبرة ليست باللفظ بل بالمفهوم، وحقيقة الخلاف في وجود أفكار يعدها الإخواني ديناً والآخر يعدها سياسة، فنقاط الالتقاء تقريباً غير موجودة، متي تكون موجودة إذاً؟.. حين فهم مصطلحات العصر - وأهمها العلمانية - فهما صحيحا بعيدا عن التشويه والخلط.

وقد تحدثنا في السابق عن تعريف الدكتور عبدالوهاب المسيري - رحمه الله - لمثل هذا النوع من الإشكاليات بأسلوب تبسيطي، فالبعض من الإخوان إن لم يكونوا أغلبية بما فيهم النخبة عندما يتحدثون في هذا الشأن ويكتشفون الخلاف فيسارعون باتهام المخالف باتهامات شنيعة وأبرزها.. "بُغض الإسلام".. فهم يقولون أنه ومن قبيل المغالطة أن تُصور مشكلة العلمانيين مع الإسلام في فهم نصوصه ، بل مشكلتهم مع النص نفسه، وبالتالي فهم لا يُريدون الإسلام ، وهم أيضاً يؤمنون بفصل الدين عن الحياة بغض النظر عن دلالة نصوص الدين، وفي هذه الرؤية الإخوانية عدم اعتبار لرؤية المخالف السياسية الذي ربما يُحيل الإخواني إلى نماذج علمانية ناجحة يُمارس فيها الدين بحرية تامة، وأن بعض المسلمين يشعرون بالراحة في تلك المجتمعات عن أوطانهم الأصلية.

مرجعية الإخواني في تلك الحالة أنه لا يوجد علمانياً صاحب حُجة كونه يحمل فكراً باطلاً غير مسموح بقبوله تحت أي ظرف، ولكن ما هو تعريف الحُجة أولاً قبل القطع بعدم الوجود؟ لو اتفقنا علي أن تعريف الحجة هو تحصيل مطلوب مجهول لدي أحد الأطراف أو كليهما سواءا بالبحث أو القياس سنقف علي ماهية عقل إنساني يُفكر ولا شأن له بالأديان أو المذاهب، فالإخواني له حجة كذلك العلماني له حجة، ولكن أيهما أقوى حُجة هذا يتوقف علي مقدرة أحدهما أو كليهما في تحصيل مطلوبه، الشاهد هو في أحد الأطراف في إثبات توجهه بالعقل والمنطق ، وكذلك اليقين بأن الإيمان بالنقل لديك ليس بلازم للطرف الآخر، فلو افتقدت القدرة علي تحصيل مطلوبك واستطاع الآخر تحصيل مطلوبه حينها يسقط زعم انعدام الحُجة.

أحبينا الخوض في جذور المشكلة قبل البحث في تحدياتها، فالعلاقات السياسية توافقية تبحث عن المشتركات قبيل البحث عن الخلافات أو الإقصاء بحُجة انعدام الحُجج، سينعكس ذلك بالطبع على العلاقات الخارجية مع شعوب وحكام الدول الأخرى سواءا ممن تربطنا بهم

روابط عرقية أم دينية، فالعالم باتت فيه التحالفات سمة العصر وعليها تُبنى موازين القوى، وأن الجهة التي تستطيع حُسن استخدام مواردها وقدراتها تنجح في السيطرة بزيادة رقعة التأثير، هذه التحديات يلزمها العقول المُفكرة ابتداءً وانتهاءً، وحتى نكون أكثر وضوحاً فالإخوان لا يملكون هذه العقول في تلك المرحلة، ربما يمتلكونها مستقبلاً هذا في حين فقط توازي صمود الفكرة الإخوانية الإصلاحية أمام تحدياتها من الغموض والتشوش انتهاءً بالتطبيق، فبالإرادة يستطيع الإخوان كسر كافة التحديات، هذا فقط حين الإرادة وبدونها تفنى الهمم وتعلّ الأجساد بعزل الإكتفاء والإنزواء والغزلة.

الآن أرى صعود كتلاً سياسية كسرت الإحتكار الأمريكي والأوروبي طيلة الـ ٢٠ عاماً الماضية، وبصعودها تميل الكفة إلى التوازن وعدم شياع الظلم في العالم، أكيد هذا من مصلحة المسلمين بل من مصلحة العالم أجمع.. هذه الكتل يتقدمها الدب الروسي والتنين الصيني علاوة على المارد الإيراني والهندي القادم من الخلف، الجميع شكّل دائرة مغلقة تتحطم عليها أحلام البراجماتية الأمريكية ، وتُصدر أولى علامات القوة الغربية المتمثلة في العامل الإقتصادي، اليوم أصبحت روسيا والصين تحتل أولى مراكز القوى الإقتصادية بعد سنوات من الإحتكار الأمريكي والياباني، دلالتة في العجز الغربي عن مواجهة الإغراق الصيني في كافة الولايات الأمريكية ودول الإتحاد الأوروبي، تقريباً نجحت الصين في بسط نفوذها غرباً وشرقاً، حتى القارة الإفريقية باتت فيها الصين صاحبة النفوذ الأقوى .

أمام هذا المشهد يرى الإخوان أنفسهم أمام كُبرى التحديات السياسية والتي ترسبت مثلثتها في الوعي المصري في زمن عبدالناصر، وباتت المصلحة العامة المصرية تقضي بعدم الإحياز واتخاذ سياسات واستراتيجيات بعيدة عن فكرة التحالفات السياسية وبسطها في تحالفات اقتصادية وثقافية والإعتبار من الصين التي اتخذت لنفسها هذا الدور طيلة عشرات السنوات حتى نجحت في الإعلان عن نفسها كقوة سياسية وليست فقط اقتصادية، والدور الإخواني في هذا المشهد لا بد وأن يتكامل مع الفكرة الإسلامية في الإصلاح وإلا سىرى نفسه في مواجهة صريحة عنوانها الطائفية وهذا ما سنناقشه في كتابنا القادم الذي سنناقش فيه الأزمة السورية بتوسع بإذن الله، فالأزمة السورية تكاد تكون مفصلية وعليها تتحدد الكثير من الأطر وتتعدد القواعد التي ستحكم في العالم المستقبلي.

أخيراً فالتحدي السياسي لا يحتاج إلى العلم أكثر من الفهم، وكأن الإخوان بحاجة إلى العقل العظيم أكثر من العلم العظيم، فالعلوم إن لم تتأطر بأفكار وثقافات وأسئلة وشكوك فهي

عرضة للإحراف عبر استغلالها في ما لم تُوجد من أجله، وأن الرأي سينكمش بفعل التأثير علي الدافع.. وأن الضامن الوحيد لثبات الرأي والأيدلوجية هو الإستقلال الكامل والتام بما يسمح بصناعة حضارة مختلفة ومتميزة عن الآخر وتستقل عن تلك الحلقة كمصدر ثابت وأصيل للقوة.. وأن الصدق وحده ليس كافياً لصناعة رأي سليم ، فالصدق إن لم يكن له مجال تجريبي يقف علي واقعيته فلا مجال إذاً لأهليته.

## خاتمة

إن الوجود الإخواني في الوعي العربي والإسلامي إن لم يرافقه نزعة تعايشية وحدوية فهو مُهدد بالفناء، وهذه ليست عملية سهلة إذ يتطلب لديهم مزيداً من الإنكار الذاتي والتضحيات، وأن لا يكتفوا بالسياق الروحاني وينطلقوا في عالم الثقافة والمعرفة، فمن السهل أن تتجمع الأفراد بالمرجعية الروحانية، وهذه موجودة لدى كافة التجمعات السياسية والدينية والثقافية، بل المطلوب هو الإنتقال من عالم الروح إلى عالم العقل بما لا يخل بمبادئ الروح، هذا سيضمن كثيراً حصر كافة مشاكل العصر في صورة أسئلة وأجوبة بلا حدود، وحين تنعدم العقلانية فلا حاجز -مرئي- بين الإلتزام والتطرف.

كتبه: الفقير إلى عفو ربه الكريم سامح عسكر

١٢ رمضان ١٤٣٣

٣١ يوليو ٢٠١٢